المقتطف

الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠١ — الموافق ١١ شوال سنة ١٣١٨

وفاة الملكة فكتوريا

لم تشهد الكرة الارضية حزنًا عمَّ قاراتها وجزائرها كما شهدت في اواخر الشهر الماضي لما نفذ القضاء الذي قضى بهِ الله على كل حي في الملكة فكتوريا بعد ان حكمت اربع مئة مليون من الناس اكثر من ستين عامًا فارتقوا في عهدها ارتقاءً لا مثيل لهُ في تاريخ الانسان

ولدت هذه الملكة العظيمة في الرابع والعشرين من شهر مايو (ايار) سنة ١٨١٩ ورقيت الى سدة الملك في العشرين من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٣٧ فتوفيت في الثانية والثمانين من عمرها والرابعة والستين من ملكها . عمر طويل قضتهُ في ما ارضى الخالق واسعد المخلوق. وانحرفت صحتها في السنة الماضية فاصابها شيءٌ من الدسببسيا والارق وكانت تفقد قوَّة النطق احيانًا وهي دلائل الاشتغال الكثير بهام المُلْك والحزن الشديد على ما فُجعت بهِ من الترمُّل والثكل وما خُتم بهِ ملكها من هذه الحرب الترنسفالية المشومة وهي الملكة التي تشتري السلام بكل مرتخص وغالٍ

وزادت اعراض الضعف عليها في السادس عشر من يناير الماضي لكن ارادتها كانت تقوى عليها فتتجلَّد وتحادث عوَّادها . ثم اشتدَّت الاعراض في التاسع عشر من الشهر الى ان توفيت الى رحمة ربها بلا الم ولا وجع بعد ظهر الثاني والعشرين بست ساعات ونصف ساعة. وللحال طيَّر البرق نعيها الى ممالكها الوسيعة في كل اقطار المسكونة والى سائر الممالك وكان الناس كلهم قد علموا انها مريضة وان نهايتها صارت قريبةً لكبر سنها وحالة ضعفها لكن ذلك لم يخفف ما اعتراهم من الحزن والوجوم لهول المصاب . وما حلَّ بالممالك الانكليزية حلَّ بغيرها من ممالك الارض فأُبطلت محافل الفرح ورُفعت شارات الحداد في كل الاقطار ووردت رسائل

التعزية على خليفتها الملك ادورد السابع وعلى حكومتهِ من كل الملوك واصحاب المقامات العالية في كل ممالك الارض . واسرع الملوك والعظماء لتشييع جنازتها والاحتفال بدفنها وفي جملتهم امبراطور المانيا وملك بلجكا وملك البرتغال وملك اليونان والغران دوق ميخائيل الروسي شقيق القيصر وولي عهد اسوج وولي عهد ايطاليا والبرنس محمد علي شقيق الجناب الخديوي وغيرهم من نواب الممالك وعظماء الامم

وابَّنتها الصحف الانكليزية وغير الانكليزية على اختلاف لغاتها ونزعاتها وافاضت في ذكر مناقبها ووصف مزايا ملكها وصدرت كلها موشحة بالسواد حتى الصحف والمجلاَّت العلمية والادبية وهي انما فعلت ما يجب عليها نحو ملكة ارتقى العلم في عصرها ارتقاء لا مثيل لهُ في كل العصور السالفة وتعزَّز شان الآداب والفضائل لانها وجدت فيها اعظم نصير لها

وقد كتبنا تاريخ حياتها منذ ثلاث سنوات وانشأنا فصلاً مسهباً وصفنا فيهِ ارتقاء بلادها في عهدها ورأينا الآن ان نعيد بعضهُ هنا لاقتضاء الموضوع ذلك وهو

‘ارتقاء بلاد كبيرة كالبلاد الانكليزية عمل عظيم جدًّا يستدعي إعمال الوف من العقول الكبيرة والآراء السديدة مدة سنين كثيرة لكن هذه الآراء وتلك العقول قد تعجز عن ترقية البلاد اذا كان ملكها ظالمًا غشومًا او خاملاً لا يسعى في مصلحة بلادهِ ولا يهتم باصلاح شأنها. فالملك الحكيم الذي يشارك رجالهُ في سياسة بلادهِ ويختار الاكفاء منهم لتولي خططها ويقودهم بحكمتهِ في مسالك الامن الشأن الاعظم في إنجاح البلاد وتعزيز اركانها

وغنيٌّ عن البيان ان للملكة فكتوريا اليد الطولى في ما بلغتهُ البلاد الانكليزية من الارتقاء في عهدها لانها اتصفت بكل صفات الملك الحكيم العادل المشارك لرجالهِ في كل ما يعود على بلادهِ بالخير والفلاح وارتقاء بلادها لا يتضح مقدارهُ الاَّ بالمقابلة بين حاضرها وماضيها وهذه المقابلة لا توفى حقها في اقل من مجلد كبير لكن الارتقاء عظيم وشامل لكل الاعمال والمعاملات مادية كانت او ادبية حتى تكفي الاشارة اليهِ بالايجاز اذا تعذَّر الاسهاب فنقول

جلست الملكة فكتوريا على سرير الملك والحواجز كبيرة والاسوار منيعة بين السوقة والاعيان هؤلاء يتربعون في المناصب العالية ويتمتعون باطايب الحياة واولئك يُقصَون عنها ويمنعون من الدنو منها . نعم كانت قوانين البلاد تقضي بالمساواة وعدم المحاباة لكن كان فيها عوامل اخرى تخص النعم والمنافع بقوم دون غيرهم فكانت خدمة الحكومة مباحة للجميع ولكن لم يكن يعيَّن فيها ولا ينتفع منها الاَّ اناس مخصوصون لقيود وروابط كثيرة يقضي بها ذوو المآرب مآربهم. وكذلك قل عن حق الانتخاب والدخول في مجلس النواب وفي المدارس العالية. فقام

انصار الحق في عهد الملكة فكتوريا وقطعوا تلك القيود ويسَّروا على الوضيع مجاراة الرفيع ولا يزال هذا دأبهم

وسعى العلماء والاطباء في اكتشاف اسباب الامراض والوقاية منها وساعدتهم المجالس البلدية على اتخاذ التدابير الصحية فقلَّ معدَّل الوفيات وخفَّت وطأة الاوبئة فزاد عدد السكان زيادة عظيمة حتى ملأُوا الجزائر الانكليزية وهاجر اكثر من تسعة ملايين منهم لتعمير مستعمراتها الوسيعة وللانضمام الى اخوانهم في الولايات المتحدة الاميركية . وحيثما ذهبوا اخذوا معهم لغتهم وعلومهم ومبادئ الحرية والانصاف التي نشأُوا عليها وهذا سرُّ نجاحهم في مستعمراتهم فانهم لا يكتفون برفع رايتهم على البلدان التي يفتحونها بل يرتحلون اليها ويسكنون فيها ويشاركون اهلها في تعميرها

وقد زادت مستعمراتهم في هذه الاثناء زيادة لا مثيل لها في تاريخ الممالك فزادت مساحتها في بلاد الهند ٢٧٥ الف ميل مربع اي اكثر من مساحة بلاد النمسا . وفي سائر اسيا ٨٠ الف ميل مربع اي قدر مساحة بريطانيا نفسها . وفي جنوبي افريقية ٢٠٠ الف ميل مربع وفي شرقيها مليون ميل مربع. وكانت مساحة البلاد الانكليزية ومستعمراتها حينما جلست الملكة على سرير الملك ٨٣٢٩٠٠٠ ميل مربع فبلغت الآن ١١٢٥٠٠٠٠ اي زادت ٢٩٢١٠٠٠ ميل مربع في ستين سنة وكان عدد سكانها ١٦٨ مليونًا فبلغ الآن ٤٠٠ مليون وكان عدد الانكليز في جزائرهم ٢٥٧٥٠٠٠٠ وفي مستعمراتهم نحو ١٥٠٠٠٠٠ فبلغ عددهم الآن في جزائرهم ٣٩٥٠٠٠٠٠ وفي مستعمراتهم ١٠٥٠٠٠٠٠ اي زاد عددهم من ٢٧ مليونًا الى خمسين مليونًا عدا الذين هاجروا منهم الى الولايات المتحدة الاميركية . وكان دخل الحكومة الانكليزية منذ ستين سنة نحو ٧٥ مليون جنيه ٥٠ منها من بريطانيا و ٢٥ من الهند وهو الآن ١١٠ ملايين جنيه من بريطانيا و ٦٣ مليون جنيه من الهند و ٣٠ مليون جنيه من استراليا و ٨ ملايين جنيه من كندا و ٧ ملايين جنيه من بلاد الراس و ٧ ملايين من سائر المستعمرات الانكليزية وجملة ذلك ٢٢٥ مليون جنيه

واتسع نطاق التعليم والتهذيب في الممالك الانكليزية بنوع عام وفي البلاد الانكليزية الاصلية بنوع خاص فبلغ عدد تلامذتها اليوم ستة ملايين ونصف مليون وكانوا قبلاً ٢٥٠ الفًا فقط وبلغت الاموال التي تنفقها الحكومة على التعليم عشرة ملايين جنيه وكانت لا تزيد على مليون جنيه

وزادت ثروة الامَّة الانكليزية في بلادها من الفي مليون جنيه الى عشرة آلاف مليون

Orientalisches Seminar Freiburg i. Br.

وزادت اسباب الرفاهة والنعيم على اكثر من هذه النسبة وزاد المال الذي يقتصدهُ فقراء الامَّة في بنوك الاقتصاد من ٢/١ ١٨ مليون جنيه الى ١٥٠ مليونًا

وكثر عدد المحسنين فبنوا ملاجئ للارامل والايتام والمنقطين وبيوتًا صحية للفقراء على اختلاف طبقاتهم. ومن هؤلاء المحسنين بيبدي الغني الاميركي الذي وهب فقراء لندن خمس مئة الف جنيه . ولما كانت الملكة شاعرة بكل ما يجري في مملكتها كما يجب ان يكون الرأس في الجسم الحي عرفت قدْر هذه الهبة وكتبت اليهِ تقول

بلغ الملكة ان المستر بيبدي عزم على العودة الى اميركا وهي لا تريد ان يترك بلادها من غير ان تثبت لهُ شدَّة اعتبارها لعمل الشريف والهبة الفائقة هبات الملوك التي اراد بها تخفيف المصايب عن الفقراء من رعاياها المقيمين في مدينة لندن . وفي اعتقاد الملكة ان هذا العمل الشريف لا مثيل لهُ بين اعمال الناس وافضل جزاء لهُ ما يشعر بهِ عاملهُ من السرور حينما يعلم مقدار النفع العظيم الذي نفع بهِ اولئك المساكين . ولم تكن الملكة لترضى باظهار شكرها من غير ان تعطي المستر بيبدي علامة من علامات دولتها تدلُّ على اعترافها بفضلهِ العظيم وكانت تسرُّ لو منحتهُ رتبةً عاليةً او نشانًا ساميًا ولكن بلغها انهُ ممنوع من قبول ذلك بقوانين بلادهِ فلم يبقَ لها والحالة هذه سوى ان تقدم لهُ هذه السطور المعربة عما تشعر بهِ من الشكر وتطلب منهُ ان يقبل منها صورة من صورها تصوَّر لهُ خاصَّة ومتى تمَّ تصويرها ترسل اليهِ الى اميركا او تعطى لهُ حينما يعود الى هذه البلاد اذ بلغها ما سرَّها وهو انهُ عازم على العودة الى هذه البلاد المديونة لهُ دينًا عظيمًا

وصُنعت الصورة حسب اشارة الملكة وهي اول مرة صنعت فيها صورتها لتهدى الى غير الملوك والصورة من المينا على لوح من الذهب يحيط بها اطار كبير من الذهب الابريز وعليهِ التاج الملكي والملكة فيها لابسة الحلة الملكية التي فتحت بها البارلمنت وهي الحلة الملكية الوحيدة التي لبستها بعد ترمُّلها

ومنذ ثلاث سنوات احتفل اهل مدينة بيبدي باميركا بعيد مئة سنة من يوم ميلادهِ فبعثت اليهم رسالة برقية تقول فيها "ان تذكار جورج بيبدي لم يزل يتجدَّد في قلبي وقلب شعبي بالشكر الجزيل لما لهُ من المبرات المقرونة بالكرم والفضل". فملكة مثل هذه تنهض همم المحسنين وتحيي آثارهم توجدهم من العدم وتجعل المال في ايدي الاغنياء آلة للبر والاحسان بدلاً من ان يكون آلة للشر والفساد

وابلغ من تقدُّم بلادها العقلي والمادي تقدُّمها الادبي والاجتماعي فاخصُّ ما يمتاز بهِ حكمها تعميم الحرية والمساواة حتى يشترك في خيرات ممالكها كل احد من رعاياها كبيرًا كان او صغيرًا غنيًّا

او فقيراً . وكل بلاد ارتفع فيها العلم البريطاني صارت مقصداً للناس على اختلاف اجناسهم يقصدونها للارتزاق والاتجار فتساوي بينهم كانهم من رعاياها . وقد منحت كندا واستراليا وزيلندا الجديدة وبلاد الراس حكومة نيابية تكاد تكون مستقلة في كل شيء بل صار النساء ينتخبن ايضاً للنيابة في بعضها ولا يبعد ان تشمل الحكومة النيابية اقسام بلاد الهند فتصير السلطنة الانكليزية كلها مجموع ولايات مستقلة تربطها رابطة الحرية الشخصية والمصلحة العمومية

هذا ما كتبناهُ منذ ثلاث سنوات ولو كتبناهُ الآن ما حذفنا حرفاً واحداً منهُ بل زدناهُ تأكيداً وتثبيتاً فان عدد السكان زاد في هذه السنوات على نسبة ما زاد في السنين الماضية فبلغ في الجزائر البريطانية اكثر من اربعين مليوناً ونصف مليون وبلغ دخل الحكومة مئة وعشرين مليوناً من الجنيهات من بريطانيا واكثر من ٦٧ مليوناً من الهند وعشرة ملايين ونصف مليون من كندا وثمانية ملايين ونصف مليون من بلاد الراس. وضمَّت بلاد الترنسفال وبلاد اورنج الحرَّة الى الاملاك الانكليزية ولو بثمنٍ غالٍ جدًّا من الدماء والاموال. وانضمت اقسام استراليا بعضها الى بعض فصارت جمهورية كبيرة مرتبطةً بالبلاد الاصلية. واثبتت المستعمرات الانكليزية كلها انها مرتبطة بعضها ببعض وبالبلاد الاصلية باشتراكها كلها في الحرب الترنسفالية

وقد استاء كثيرون من هذه الحرب وودوا لو لم تكن وشمت اعداء انكلترا بما كانت تلقاهُ من الفشل احياناً ولكنهم لم ينكروا ما ابدتهُ من الهمة والاقدام والمقدرة التي تفوق كل ما جاء في تاريخ الاوائل والاواخر بتجييشها نحو ثلثمئة الف نفس وارسالهم الى ابعد مكان في قارَّة افريقية مع كل ما يلزم لهم من الزاد والميرة . ولم تكتفِ بالحاجيات بل ارسلت اليهم الكماليات ايضاً وبعض الاطايب التي لا يتمتع بها الناس الاَّ في بيوتهم ولم تستخدم لذلك سفينة اجنبية. ثم لما قضى الله بوفاة الملكة بادرت امم الارض كلها الى مجاملة الامة الانكليزية كما بادرت يوم الاحتفال بعيد الماس حينما بلغ حكم ملكتها ستين عاماً وقبلما نشبت نيران هذه الحرب. وما ذلك الاَّ لان مقام الملكة ومقام مملكتها عزيزان في النفوس. والجرائد الفرنسوية التي كانت تغتاب الانكليز كلما حانت لها فرصة لم يسعها الاَّ الاعجاب بقدرتهم يوم استعرضوا اساطيلهم البحرية وقت الاحتفال بيوبيل الملكة والافاضة في وصف مناقبها لما توفاها الله الى رحمتهِ

وعاشت الملكة حتى رأَت اولاد احفادها واتضح لها ان الملك يبقى في اعقابها سنين كثيرة وقد وصلت الينا صورتها مع ولي عهدها وولي عهدهِ وابن ولي ولي العهد كما ترى في الصفحة التالية

هذا وقد كان من حظ المقتطف ان نشأَ في عصر هذه الملكة فاستقى من بحار العلماءِ الذين نشأُوا في عصرها وفي بلادها واقتطف من ثمار المعارف اليانعة في الصحف العلمية انكليزية

واميركية فشارك مجلات بلادها في ارتقائها فهو يشاركها الآن ايضاً في رفع واجب العزاء الى شعبها و يسطِّر بمداد الفخر فضائلها وفواضلها لتبقى قدوةً للملوك والبنات والزوجات والامهات ما كرَّت الايام والاعوام

الملك ادورد السابع

لما استأثرت رحمة الله بالملكة فكتوريا آل تاج الملك حسب الشرائع الانكليزية الى ابنها ولي عهدها البرت ادورد برنس اوف ويلس فاختار ان يسمى ادورد السابع تاركًا اسم البرت الذي كان اسم ابيهِ لكي يبقى مفردًا في تاريخ البلاد الانكليزية كما تفرَّد ذلك الامير بفضائلهِ وسمو مداركهِ

والملك ادورد السابع كهل في الستين من عمرهِ فانهُ ولد في ٩ نوفمبر سنة ١٨٤١ وهو ثاني اولاد الملكة فكتوريا واكبر ابنائها . درس اولاً على اربعة من كبار الاساتذة ثم درس مدة في مدرسة ادنبرج ومدرسة اكسفرد ومدرسة كمبردج ومنحتهُ كلٌّ من مدرسة اكسفرد ومدرسة كمبردج لقب دكتور في الشرائع المدنية. ودرس علم القوانين واجيز لهُ فيهِ وهو مشير

(مرشال) في الجيش الانكليزي وفي الجيش الالماني ورئيس اكبر للماسونية . زار سورية ومصر سنة ١٨٦٢ ومعهُ العلاَّمة اللاهوتي الشهير الدين ستانلي واقترن بالبرنسس الكسندرا بنت كرستيان التاسع ملك الدنمارك في العاشر من شهر مارس سنة ١٨٦٣ ورزق منها ابنين البرنس البرت فكتور ولد سنة ١٨٦٤ وتوفي سنة ١٨٩٢ والبرنس جورج دوق يورك ولد سنة ١٨٦٥ وهو وليُّ العهد الآن وثلاث بنات لويزا زوجة دوق فيف ومود زوجة البرنس كارل الدنماركي وفكتوريا

وأُصيب بالحمَّى التيفويدية سنة ١٨٧١ فاهتمَّت الامة الانكليزية كلها بمرضهِ كأَنَّ في كل بيت منها مريضاً . ثم لما شفي اجتمع الناس في الكنائس الوفاً مؤلفة ليشكروا الله على شفائهِ

وقلما أُنشئ مقام خيري او عمومي في البلاد الانكليزية منذ عشرين او ثلاثين سنة الى الآن الاَّ واشترك الملك ادورد او الملكة زوجتهُ في وضع حجر زاويتهِ. وكثيراً ما كان يشترك في اظهار فضل الفضلاء وتعظيم مقام العلماء ولهُ في تلك المواقف خطب حسان تدلُّ على انهُ يقدر العلماء قدرهم. وآخر خطبة قرأْناها لهُ من هذا القبيل الخطبة التي تلاها لما رُفع الستار عن تمثال هكسلي وقد نشرنا ترجمتها في الجزء الاول من المجلد الخامس والعشرين وهي

" ايها السادة والسيدات . اني احسب فخراً عظيماً لي ان انتدبتني لجنة هذا التذكار لارفع الستار عنهُ واقبلهُ في المتحف البريطاني بالنيابة عن امنائهِ الذين لي الشرف ان اكون عضواً منهم . ولم انسَ انني قمت بعمل مثل هذا منذ خمس عشرة سنة حينما رفعت الستار عن تمثال تشارلس دارون الشهير . ولقد سمعنا اليوم خطباً في منتهى البلاغة وسحر البيان عن هذا العالم العظيم والفيلسوف الكبير الاستاذ هكسلي. وفضولٌ مني بل غرور ان اطنب في مدحهِ في حضرة هذا العدد العديد من رجال العلم الذين يعرفون عن اشغالهِ اكثر مما اعرف لكنني اصادق على كل كلمة فاه بها هؤلاء العلماء واكرر لكم الاعراب عما يخالج ضميري من السرور بانتدابكم اياي مرة ثانية لقبول تمثال رجلٍ ثانٍ من اعاظم رجال العلم المشهورين "

هذا كلام الملك الذي رقي الى سدَّة الملك في بداءة هذا العام وغرة هذا القرن وقد اعرب فيهِ باجلى بيان عن ان مقام العلم رفيع في عينيهِ كما اعرب في خطبة اخرى فاه بها لما اريد انشاء تذكار للسر جون لوز عن فائدة العلم للبلاد حيث قال " انهُ يجب على البلاد الانكليزية ان تعترف علناً بالفوائد الجلَّى التي استفادها علم الزراعة من هذا الرجل الفاضل لما لها من النفع العام للبلاد كلها " فلا عجب اذا استعزَّ العلم في عهدهِ كما استعزَّ في عهد امهِ

تاريخ آل معن

مرَّ بي حينٌ من الدهر وانا ارى نتفاً مبعثرة من تاريخ آل معن يكاد لا يتألف منها في الذهن صورة ما كانوا عليهِ من الامارة والعزة اللهمَّ الاَّ ما قرأت عنهم في اخبار الاعيان في جبل لبنان فجمعتُ ما اتصلت اليهِ يدي من التواريخ واسفت لقصوري عن الوصول الى ما تكنّ الخزائن في بلادنا من نفائس المؤلفات

فآل معن ينتسبون الى بني ربيعة الفرس بن نذار ومما قيل فيهم ان جدهم ايوب من سلالة الايوبيين ملوك بغداد وثغورها وانهُ كان فارساً مغواراً يشدّ ازرهُ باحد عشر ابناً من الشجعان فعظم شأنهُ حتى حسدهُ قومهُ فتألبوا عليهِ واخرجوهُ من بينهم فرحل بعيالهِ وما يملكون ونزلوا ضفاف الفرات واتَّسموا هنالك بالايوبيين نسبة لابيهم الباسل وكرَّ عليهم الزمن لايزيدهم الاَّ نموًّا وكثرة حتى ضاقت عليهم منازلهم فرحلوا الى الديار الحلبية وفيهم اميرهم ربيعة واقاموا ثمة حتى مات فخلفهُ على الزعامة ابنهُ الامير معن الذي صاهر الملك النعمان

وكان قبيلهُ قد صار الى المنعة والعزة وسوريا يومئذٍ غشيتها جموع الافرنج المعروفين بالصليبيين فدان لحكمهم بعض ارجائها وناهضهم الكثير من امراء البلاد واعيانها يغيرون على ما بايديهم من الاقطار فتارة يظفرون واونة يرجعون خائبين

وفي خلال هذا كان اهل حلب قد قتلوا لؤلؤا الخادم اتابك[1] ابناء الملك رضوان ووقع على اثر ذلك كثير من الخلل في البلد فاستقدموا نجم الدين ايلغازي من امراء التركمان ليملكوهُ عليهم فيذود عنهم ويحميهم من غارات الافرنج الذين كانوا قد استفحلوا في انطاكية وجوارها فجاءهم واقام يسدّد امورهم واذا بظهير الدين ابي منصور طغتكين[2] اتابك صاحب دمشق قد جاءهُ زائرًا مستنفرًا لقتال الفرنجة فتواعدا على النجدة وجاءتهما الاخبار بان الاعداء متحفزون لدمشق وحوران وانهم شرعوا يعيثون فساداً في البلاد فاتفق الاميران

---

(١) اتابك كلمة مركبة من اتا بمعنى اب و بك من القاب التعظيم المعروفة وكان لقب اتابك يمنح لمن يسلمهُ السلطان تربية اولادهِ ويدبر البلد الذي يمنحهُ ابن السلطان عادةً ثم اصبح هذا اللقب بكرور الايام حلية لاعاظم الموظفين ومنهم امير الجيوش (ابن خلكان)

(٢) كان طغتكين اتابك تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق فلما توفي تتش سنة ٤٩٧ هجرية قام بالملك بعدهُ طغتكين المذكور لانهُ كان قد تزوج بامهِ في حياتهِ وحياة ابيهِ وظلّ طغتكين مالكاً في دمشق الى ان توفي سنة ٥٢٢ هجرية فبقي الملك في عقبهِ حتى سنة ٥٤٩ هجرية حين ملكها نور الدين صاحب حلب

طغتكين وايلغازي على ان يعود طغتكين الى دمشق ويقيم فيها مثاغرًا للعدو وان يذهب ايلغازي الى ماردين فيجيء منها بالمال والرجال

فان كان بنو ربيعة يومئذٍ نازلين على الفرات فقد اجابوا داعية ايلغازي وحملوا معهُ في جملة العشرين الفًا الذين زحف بهم لمنازلة انطاكية فباغتوا رجالها وغلبوهم وقتلوا منهم روجر الوصيّ على الامارة ولكنهم قبل ان سرَّهم الظفر احاط بهم جيش العدو تحت قيادة ملكهم بودوين الثاني ففتك بهم ذريعًا واضطرهم الى الفرار. وان صحت رواية الكولونل تشرشل في تاريخ جبل لبنان (جزء ١ صفحة ٢٢٢ و٢٣٦) فان بني ربيعة وبني تنوخ كانوا في جملة القبائل العربية التي نزلت جبل العلا عند معرة النعمان وان التنوخيين انفصلوا عنهم في القرن التاسع وقصدوا لبنان واقاموا ثمة فافلحوا اما بنو ربيعة فظلوا في المعرة حتى جاء الصليبيون وامتلكوا انطاكية ورسخت قدمهم فجاء ايلغازي بجموع الترك وانضموا لبني ربيعة فحاربوا الافرنج في الجبل الاسود حتي رأوا ان لا قبَل لهم بهم فالتجأُوا الى المعرة ثم سلموها وارتحلوا عنها واميرها يومئذٍ الامير معن فاضطر ان يخرج من جوار الافرنج فاتى البقاع ومنهُ قصد دمشق فاجتمع بصاحبها واستشاره' فاشار عليهِ بالنزول في لبنان فوق بيروت وصيداء فارتضى الامير معن لما في ذلك من الخير له' ونزل في بعقلين وجوارها

وقد شهد طغتكين ورجاله' حرب انطاكية ونتيجتها فلما عاد الى بلادهِ وقد وقر في نفسهِ مرابطة الثغور صيانة لهُ من غارات الافرنج الذين لم يفتروا عن شن الغارات على صيداء وصور والشقيف وما بينها حتى امتلكوا بعض المعاقل واوشكوا يفوزون بالبلدين صيداء وصور غير مرةٍ لو لم يؤدِّ اهلوهما المال فداء

ولكن الفداء لا يغني عن القوة فتيلاً فان بعثة نروجية نزلت يافا سنة ١١١٠ وزحفت منها لافتتاح صيداء تحت امرة بودوين فملكتها فتم للافرنج بذلك رسوخ القدم في الثغور والتفرغ للاغارة على ما وراءها

يومئذٍ استغاث طغتكين بصاحبهِ ايلغازي ليتعاونا على خضد شوكة الفائزين فلما انكسرا عند انطاكية رأى ان يتحصن بالرجال الاشداء فاوعز الى بني ربيعة او الى فئة منهم ان يرحلوا الى تخوم بلادهِ فلباه' القوم فاتخذ لهم قطر الشوف مقامًا يستشرفون منهُ على البحر ويكونون عونًا على الاعداء.

ومما آثر ابن الاثير في الكامل ان في سنة ٥١٣ ﻫ سار جوسلين صاحب تل باشر في جمع من الافرنج نحو مئتي فارس من طبرية وكبس طائفة من طيء يعرفون ببني خالد فاخذهم وغنم

منهم كثيرًا وسألهم عن بقية قومهم من بني ربيعة فاخبروهُ انهم من وراء الحَزن بوادي السلالة بين دمشق وطبرية فارصد جوسلين للحوق بهم مئة وخمسين فارسًا وسار بخمسين في طريق اخرى ولكنهُ ضلَّ الطريق ولحق فرسانهُ بالقوم فوقع القتال واظهر الامير الشجاعة الباهرة والتدبير الحسن فقتل من الافرنج سبعون وأُسر اثنا عشر زعيمًا

وقد ذكر ابو الفداء هذه الرواية وقال ان اسم الامير مرّ بن ربيعة

على ان ليس في هذه الرواية تصريح ببني معن ولكنَّ من امعن النظر يرى ان كلا القومين من بني ربيعة وان الحادثة واقعة سنة ٥١٣ هـ التي تعادل سنة ١١١٩ او سنة ١١٢٠ مسيحية وهي السنة التي ورد ان آل معن كانوا نازلين فيها في البقاع فليس بعيدًا ان تكون الرواية عنهم والله اعلم

ولقد اصاب طغتكين في مثاغرة الفرنجة من صوب الشوف لحصانة الموقع ووقوعهِ في سبيل القوم وقيام المرابطين فيهِ على اجهاد قوى العدو وايقافهِ منهم موقف الخائف الحذر فهم يقدرون على الاغارة على ما امتلك الفرنج من بلاد صيدا وصور وما اليهما ولا يستطيع اولئك اقتحام بلادهم لصعوبة مسالكها ووعورة جبالها

وكان قطر الشوف حتى يومئذٍ قفرًا يبابًا فلو لم يسرع طغتكين الى انزال الايوبيين فيهِ لامتلكهُ الافرنج واصبح بين ايديهم عصمًا ومعقلاً ايًّا الاَّ ان سداد رأْي الامير صانهُ منهم وانزل الايوبيين فيهِ منزلاً رحبًا فارتاحت اليهِ خواطرهم وسكنوا اليهِ بديلاً من المضارب والخيام لانهم كانوا حتى يومئذٍ من الرحَّل الذين يضربون في البراري والقفار ليصيبوا منتجعًا ومرعًى خصيبًا فلما وضعوا عصا الترحال ادرَّ الامير طغتكين عليهم المال تطييبًا لخواطرهم ورأَوا من اهل الجوار انسًا وترحابًا فطابت نفوسهم سيما وان الامير بحتر التنوخي صاحب بلاد الغرب بعث يتودَّد اليهم ويعاقدهم الولاء ليشد بهم ازرهُ في مقاتلة الفرنجة على ما يملكون وحبب اليهم ابتناء البيوت فارتضى الامير معن بذلك فارسل الامير بحتر اليهِ البنائين والعملة فبنوا كثيرًا من الدور فتمصَّرت بلاد الشوف منذ حينئذٍ وتوارد اليها الجالية من الاقطار التي غلب الافرنج عليها فعمرت بهم وازدهرت . ولا نعلم كيف ظلوا حتى يومئذٍ على بداوتهم مع انهُ ورد انهم قضوا في المعرة وجوارها السنين الطوال. وقيل ان الامير معنًا قصد انسباءهُ آل تنوخ في عبيه فاشاروا عليهِ بسكنى الشوف . ذكر ذلك صديقي العالم المحقق الامير شكيب ارسلان في دائرة المعارف وزاد عليهِ ان اسم الشوف مشتق من شُف اي انظر اذ قالها التنوخي لصاحبهِ المعني حين اطلاَّ على بلاد الشوف

ومرّت السنون ومقام المعنيين في الشوف عزيز لبسالتهم واعتصامهم فيهِ واباءة نفوس قومهم عن الخضوع لغير زعمائهم ولانهم كانوا قد مالأُوا آل شهاب حين جاءُوا سنة ١١٦١ من حوران فغلبوا الفرنج على حاصبيا وملكوها فنشأَت منذ يومئذٍ صداقة محكمة العرى بين الاسرتين ادَّت بعد حين الى المصاهرة فالاتحاد والمشاركة في القتال ضد الصليبيين

وليس في تاريخ هذه الاونة شيءٌ من الانباء عن شؤُون المعنيين الداخلية ولكن المستفاد من مؤَدَّى روايات بضعةٍ من كبار مؤَرخي الفرنجة(1) الباحثين في احوال الدروز ان القوم كانوا في باديءِ امرهم اتخاذاً يخضعون لمشائخهم والكل يدينون للامير ويقولون بقولهِ وهو ينظر في شؤُونهم بالنصفة والعدل حتى اذا قضت الاحوال لاستنفارهم الى القتال لبوا نداءهُ. ومما ذُكر عنهم استقلالهم في جبالهم بحيث لم يخضعوا للسلطة الاجنبية عنهم الاَّ ظاهراً لتبقى السيادة فيهم محصورة في امرائهم وهذا سر بقائهم على عزتهم مدى عصورهم الاولى في سوريا والاَّ بعثتهم وهم فئة قليلة عوامل الدسائس ولعبت بهم السياسة ادواراً لحطت بهم من عصمتهم. أَلا ترى انهم ظلوا على عزتهم بين كانت البلدان الكثيرة السكان كدمشق وحلب وغيرهما لا تقوى على حفظ كيانها بل تتوالى عليها تقلبات السياسة واطوار الدول

فحب الاستقلال ومخالفة مذهب السنة لمذهبهم الدرزي الذي دانوا بهِ بعد نزولهم في الشوف شدّ اواخي الاخاء فيما بين افرادهم فصاروا كالبنيان المرصوص يشد بعضهُ بعضاً ومن تمام حظهم لقوا من مجاوريهم النصارى مثل ما كان في نفوسهم الابيَّة من المباديءِ فاتحدوا وناوأُوا من خالفهم طويلاً

وكأَن سياسة امرائهم ظلّت مدى زمانهم متجهةً صوب حفظ استقلالهم ورسوخ قدمهم في العزة والمنعة على انهم يحفظون الولاء لاصحابهم وينجدون المستغيث بهم ولا يحجمون عن الثأْر ممن يسيءُ اليهم الاَّ ان استقلالهم الداخلي لم يخرجهم عن الاذعان لمقاصد ملوك الجوار في اعدائهم فمن ذلك انهُ لما قدمت سنة ٥٩٣ ه (سنة ١١٩٧) تجريدة صليبية تحت امرة الاسقف كونراد وكان على سلطنة دمشق الملك العادل بن ايوب اخو السلطان صلاح الدين المشهور تحفّز هذا الملك الباسل لملاقاة الغزاة واستغاث بابن اخيهِ الملك العزيز صاحب مصر وبغيرهِ من ملوك الجوار وزحف على يافا فخرج الافرنج من عكاءَ للذود عنها ولكنهم قبل ان بلغوها علموا ان الملك العادل فتحها بالسيف فاتجهوا صوب بيروت ليأْخذوها وفيما هم سائرون

---

(1) Volney, Etat politique de la Syrie, chap. III § III et § IV. New American Cyclopaedia (New York, 1863) Vol. VI, page 632.

لقيهم في الطريق امراء معن وتنوخ وحاربوهم وذلك لان الملك العادل كان قد اوعز اليهم ان يمسكوا الطريق على الغزاة وان يعزلوا قلاع بيروت لانها لا تقوى على الممانعة فخالفهُ الامير جمال الدين التنوخي وابقى القلعة مسلحةً وزاد في حاميتها ووقف مع المعنيين في سبيل الافرنج وحاربوهم ولكنهم لم يقووا على غلبهم لكثرة جموعهم فزحف الصليبيون بعد ظفرهم على بيروت واخذوها من غير ممانعةٍ. هذي زبدة ما رواهُ الكولونل تشرشل في تاريخ جبل لبنان ولا نعرف المورد الذي استقى منهُ وانما علمنا من ابن الاثير في تاريخ سنة ۵۹۳ ه ان الملك العادل بعث سريةً من عسكرهِ لتخريب بيروت ففعلوا ولكن منعهم اميرها من ذلك وتكفّل بحفظ القلعة فعاد عسكر المسلمين ولقوا الافرنج عند صيداء وجرت بينهم مناوشة حتى فصلهم الليل. ولم يذكر ابن الاثير شيئًا عن المعنيين وكذلك لم يذكرهم صاحب كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين. وقد غلط تشرشل بك في ايراد اسم الامير المتولي على بيروت اذ سماهُ جمال الدين مع ان اسمهُ عز الدين سامة او اسامة كما ذكرهُ ابن الاثير وصاحب الروضتين وصالح بن يحيي في تاريخ بيروت وكما دلَّ عليهِ بيتان من الشعر قيلا فيهِ لتسليمهِ بيروت من غير قتال. وكأن تشرشل لم يكن يحفل بضبط الاسماء كثيرًا اذ غلط ايضًا في اسم الملك الذي حمل بني معن على سكنى الشوف فقال هو نور الدين مع انهُ طغتكين

وفي سنة ٦٣٨ ه خاف الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق من ابن اخيهِ الملك الصالح ايوب فسلم الافرنج صفد والشقيف ليكونوا معهُ ويعضدوهُ على ما قال ابو الفداء وحالف صاحب حمص وصاحبة حلب على مناوأة الصالح ايوب وصاحب الكرك وعاد فسلَّم للافرنج القدس وعسقلان وطبرية استجلابًا لرضائهم واستدعي الخوارزمية لنجدتهِ اما الصالح ايوب نخاف المغبة وكتب على ما في اخبار الاعيان الى محمد نجم الدين التنوخي يستحثهُ على البقاء على الطاعة وان يتقدم برجالهِ لاستقبالهِ. قال تشرشل بك ان الامير نجم الدين لم يكن ليقوى على الاجهار بنواياهُ لقرب اسماعيل منهُ وكثرة انصارهِ ولذلك انضم الى جيشهِ ومعهُ بنو معن والتقى الجمعان عند عسقلان فلوى التنوخيون والمعنيون اعنة خيولهم وانحازوا الى الصالح ايوب فوقعت الكسرة على الصالح اسمعيل وحلفائهِ ثم التقوا ثانية عند غزة سنة ٦٤٢ فانكسر الصالح اسمعيل وفي السنة الثانية اخذ المعنيون صيداء من الافرنج على ما قال تشرشل وظلَّت في ايديهم او تحت ولايتهم حتى تشكلت ولايةً في اخريات ايامهم

ولقد حفظ التاريخ لآل معن وقائع جمة تدل على ما ذكرنا من خلالهم وانهم كانوا يوالون الشهابيين في السراء والضراء فمن ذلك ما رواهُ صاحب اخبار الاعيان ان في سنة ۱۲۸۷

لما تملك المغول وادي التيم بالسيف وهرب منهُ الامراء الشهابيون التقاهم الامير بشير علي الى نهر الصفا ومعهُ الميرة واقام عندهم يومين الاَّ ان في هذه الرواية مظنة سهوٍ لان التتر المغول اقتحموا بر الشام تحت امرة ملكهم هولاكو في اواخر سنة ٦٥٧ هجرية على ما رواهُ ابو الفدا في تاريخهِ وهو ثقةٌ لا ينازع في الاخبار عن عصرهِ ومصرهِ فتمت لهولاكو الغلبة على الشام في مدى تسعة شهور من سنة ٦٥٨ ثم انكسروا في رمضان من تلك السنة وفي محرم سنة ٦٥٩ وضعفت شوكتهم في البلاد حتى اضطروا الى مبارحتها ولكنهم عاودوها في السنة التالية وبلغوا حمصاً وهنالك كسرتهم جيوش الملك المنصور قلاوون وردتهم على اعقابهم فلبثوا الى سنة ٦٩٩ قاعدين عن الغارة حتى شنوها في تلك السنة فلقيهم المسلمون عند حمص وواقعوهم فانكسر المسلمون واستولى المغول على دمشق والقدس حتى غزة ولكنهم لم يلبثوا طويلاً بل نكصوا راجعين

فاذا اعتبرنا تاريخ غشيانهم وادي التيم على رواية اخبار الاعيان يكون ذلك سنة ٦٨٦ﻫ لانها تعادل سنة ١٢٨٧ التي ذكرت هنالك وفي تلك السنة لم يكن للمغول حرب في بر الشام لما مرَّ بنا من ارتدادهم من سنة ٦٨٠ الى سنة ٦٩٩ ولا نحسب الحادثة واقعةً في الغارة الثانية سنة ٦٩٩ لان العلاَّمة البطرك الدويهي يذكر في حوادث سنة ٦٨٣ وفاة الامير قرقماز الشهابي ويقول ان في عهدهِ كان دخول المغول الى وادي التيم ووقوع هذه الحرب

ولا خفاء ان المغول عاثوا في بلاد التيم فساداً واسرفوا في القتل والنهب والحريق حتى اضطر كثيرون من التيامنة ان يهجروا بلادهم الى بلاد الشوف فازدادت بهم عمارةً ونجاحاً

ومما روى الكولونل تشرشل في تاريخ لبنان (جزء ١ صفحة ٢٨٤ و٢٨٥) ان الملك الاشرف لما قضى لبانتهُ من طرد الافرنج عن سوريا اهتمَّ بكبت الدروز لمخالفتهم السنة فاوعز الى نائبهِ في دمشق اقوش الافرم ان يأمرهم ببناء المساجد في جبالهم فابوا ذلك فزحف عليهم باربعين الفاً ولقوهُ بعشرة آلاف تحت امرة احد عشر اميراً من تنوخ ومعن فالتقوا عند عين صوفر ولكنهم انهزموا الى انطلياس بجوار بيروت واختبأوا في مغارةٍ لم تسترهم عن بحث الظافرين فسألوهم التسليم ولمَّا ابوهُ سدوا عليهم باب المغارة حتى ماتوا فانكسرت بذلك شوكة الدروز . قلتُ لقد اخطأ المؤرخ في اسم الملك لان الملك الاشرف هو صلاح الدين خليل بن قلاوون وانما توفق لقطع دابر الافرنج من سوريا سنة ٦٩٠ﻫ وقتل سنة ٦٩٣ فتولى السلطنة اخوهُ الملك الناصر وعزل عنها سنة ٦٨٦ ثم عاد اليها سنة ٦٩٨ وحينئذٍ ولّي جمال الدين اقوش الافرم نيابة الشام وفي سنة ٧٠٥ سار هذا النائب على ما قال ابو الفداء بعسكر دمشق الى جبال الظنيين وكانوا عصاةً مارقين من الدين الخ فكبتهم قال والبلاد جبال شاهقة بين

طرابلس ودمشق. وذكر صالح بن يحيى في تاريخ بيروت ان اقوش الافرم اغار بخمسين الفاً علي كسروان فلا ندري من ايّ المصادر اخذ تشرشل سيّما وان مؤرخي التنوخيين والمعنيين لم يذكروا في تلك الاونة مقتل الامراء

وكرّت الايام والقوم على حالهم المألوف الاَّ ان التاريخ الذي اتصل الينا لم يحوِ من اخبارهم شيئاً يُذكر وكأني بهم ظلوا على ما عُهد فيهم من التدرب على الضرب والطعن وممارسة القتال سحابة زمانهم والاَّ فلو مرَّت بهم السنون وهم ساكنون الى الحراثة دائبون على السلام لانتفت من بينهم الاميال الحربية وخلدوا الى الراحة والحال أنهم ظهروا في اوائل القرن الخامس عشر بما عهد فيهم من القوة ورباطة الجأش اعتبر ذلك بما رُوي من ان في سنة ١٤١٣ المعادلة لسنة ٨١٦ ﻫ جاءت سفن الافرنج واحسبها من الجنويين او البنادقة الذين كان لهم القدح المعلّى في البحر بتلك الاونة واقتربوا من الدامور فوق صيداء وخرج منها رجال اشداء شرعوا يعيثون في البلاد قتلاً واسراً فعارضهم بعض امراء الجوار الذين كانوا يتولون الدرك او يقصدون الذود عن انفسهم فلم يقووا عليهم فنهض الملك المؤيد المحمودي الخاصكي من دمشق لقتالهم فالتقاهُ الى البقاع الامير سيف الدين ارسلان واضافهُ في الشويفات ثلاثة ايام ولما انقضت سار فانضم اليهِ الامير قاسم الشهابي اما الامير احمد بن عثمان المعني فانهُ التقاهُ في اطراف بلادهِ وحمل اليهِ الزاد والذخيرة وصحبهُ في زحفهِ فابلى جميعهم في الفرنج بلاءً حسناً حتى ردوهم على الاعقاب

ومما يذكر ان صاحب اخبار الاعيان لم يذكر لهذه الحادثة زمناً وناهيك بهِ انهُ ذكر اسم الملك "داود الجركسي" فراجعنا كل ما لدينا من التواريخ ولم نجد بين ملوك الدولة الجركسية من يسمي داود ولكننا رأينا ان الخليفة المعتضد بالله كان يسمي داود وانما لم يكن جركسيا ولم يكن هو الزاحف على الدامور واغرب من هذا ان الخواجا يوسف كتفاكو الذي كتب تاريخ معن في الجورنال ازياتيك Journal Asiatique. Mars, Avril 1864 تبع صاحب اخبار الاعيان حتى في هذا الخطاء فاورد اسم الملك داود من غير تثبتٍ

وليس في ما مرَّ بنا من اخبار المعنيين ونهوضهم للترحاب بالملك المؤيد والسير في جيشهِ او غير ذلك ما يخالف مبدأهم في الاستقلال والمحافظة عليهِ لان النجدة من خلالهم وانهم ليؤدون الطاعة ما لم تؤذن بمساس شيءٍ من حقوق استقلالهم فانهم كانوا حراصاً عليهِ حتى انهُ ليظن (١) انهم كانوا يعاملون دول المماليك المصرية بظاهر الطاعة والمياسرة ولكنهم لا

---

(1) The New American Cyclo. (New York, 1868) Vol. VI page 633.

يقعدون عن حربها اذا مست الحاجة وليس هذا بعيداً لان من كان في مثل موضعهم لا يعتمد الأعلى قواهُ ويذود عن حوضهِ بملء قدرتهِ تارةً بالقوة وطوزًا بالخدعة والاستكانة ولقد روى المؤرخون ما يستفاد منهُ وقوع النفرة فالحرب بين نائب السلطنة الجركسية في الشام والمعنيين قال العلامة الدويهي ان في سنة ١٥٠٥ (٩١١ هجرية) جهز نائب الشام العساكر مع جوان بك الافرنجي الدوادار الى البقاع فقتل الدوادار وقتل معهُ ثلثمائة نفر ثم جمع النائب العساكر وقصد التوجه بنفسهِ الى البقاع فمات قبل خروجهِ من دمشق ودخل على نيابة دمشق سيباي الاشرفي وبعد قليل قبض على الامير فخر الدين عثمان بن معن من اعمال صيداء اه

فالمستفاد من هذه الرواية وقوع الشحناء بين النيابة والامير وانها ادت الى الحرب فالانكسار في البقاع كما نقل الاستاذ الشرتوني عن الغرر الحسان الاَّ انهُ لم يذكر سبب العداء ولا كيف قبض على الامير فخر الدين وغاية ما قيل ان النائب سيباي اعتقلهُ مدة ثم اطلقهُ واعادهُ الى بلادهِ مكرمًا

وكأن اعتقال الامير قد حاك في نفسهِ فابقى في صدرهِ الرغبة في الثأر من القوم الذين اهانوهُ حتى اذا وقعت الوحشة بين ساكن الجنان السلطان سليم الفاتح وبين الملك الاشرف قانصوه صاحب مصر والشام كتب نائب السلطنة في الشام الى امراء البلاد وفي جملتهم الامير فخر الدين عثمان يستفزهم الى القتال وكانت النيابة لم تزل لسيباي الاشرفي وقيل انها صارت يومئذٍ لجان برد الغزالي ولكن الارجح ان الغزالي كان يومئذٍ اميرًا للجيش فجمع الامير رجالهُ وانضم الى جيش الغزالي وفيهِ خير بك نائب السلطنة في حلب وامير جيوشها ونواب دمشق وطرابلس وصفد وغيرهم وبينهم السلطان الغوري بنفسهِ وحاشيتهِ وكان الغزالي يتودد لامراء لبنان وقد اتفق مع خير بك على الانحياز الى الجيوش العثمانية فخابر السلطان سليمًا واتعدوا على انهما اذا صدقا وفاز بالفتح يولي احدهما مصرًا والآخر الشام ثم مال الغزاليّ الى الامراء وخابرهم فوافقهُ على ذلك الامير فخر الدين المعنيّ والامير منصور الشهابي والامير جمال الدين الارسلاني والامير عساف التركماني حتى اذا تصافَّ الجيشان في مرج دابق عند حلب سنة ١٥١٦ ⁽¹⁾ شعر الغوريّ بخيانة رجالهِ فامر الغزالي وخير بك ان يتقدما الى القتال ليعجل

---

(١) وليس سنة ١٥١٥ كما ذكر العلامة الدويهي وصاحب أخبار الاعيان ومن تابعهما والدليل على ان الموقعة كانت سنة ١٥١٦ ما ورد في
La Turque, par Jouanin et Van Gaver, chap. XI, page 113.
وكذلك في
Creasy; Hist. of the Ott. Turks, chap. XIII page 113.
وما ذكر في الجزء العاشر من دائرة المعارف وتاريخ مصر المالكي (خط) وتحفة الناظرين للشرقاوي وتاريخ الاسحاقي والجزء الاول من تاريخ جودت باشا وغيرها

حتفهما وكان موقف خير بك في الميمنة والغزالي في الميسرة فلما اشتبك القتال فرَّ القائدان بمن معهما الى السلطان سليم وظلَّ الغوري وحدهُ فأُسقط في يدهِ ورأى ان نواب دمشق وطرابلس وصفد قد قُتلوا وان العسكر ولَّى منهزماً فأُغمي عليهِ وهو شيخ يناهز الثمانين وسقط عن الجواد ومات (في ٢٤ آب سنة ١٥١٦ الموافق ٢٥ رجب ٩٢٢) فاستولى السلطان على حلب وحماه وحمص والشام وما بينها ولحق بالماليك الى غزة ومصر وحارب طومان باي الذي اختاروهُ سلطانًا فغلبهُ واستولى على مصر واقام فيها اياماً حتى رتب شؤُونها وعاد الى سوريا سنة ١٥١٧ فرتبها واناله المؤرخون لقب "فاتح ممالك العرب" وهي اذا حسبت بحساب الجمل بلغت ٩٢٣ ووفى بوعدهِ اذ ولَّى خير بك على الديار المصرية والغزالي على بر الشام . ولما عاد من مصر الى الشام كتب الى امراء لبنان فحضر اليهِ الامير قرقماز المعني والاميران جمال الدين الارسلاني وعساف التركماني

فاما قرقماز فقد آثر العلاَّمة الدويهي انهُ ابن يونس وليس في ما لدينا من التواريخ ذكرٌ لولايتهِ او لشأْنهِ الاَّ انَّا نظنهُ من المقربين لدى نسيبهِ الامير فخر الدين الاول الذي تولَّى الامارة عقيب عمهِ الامير يوسف سنة ١٤٧١ ولذلك بعث بهِ لدى السلطان الاَّ ان للامير فخر الدين ابنًا اسمهُ قرقماز فمن الاولى ان يكون هو الذي انفذهُ ابوهُ امتثالاً لامر السلطان . يؤيد هذا ما رُوي من ان المولى ولاَّهُ الشوف كما ولَّى الامير جمال الدين على الغرب والامير عسَّافًا على كسروان لاسيما وانَّا على ثقةٍ من ان الولاية لم تخرج من بيت فخر الدين لانهُ كان قد نال الحظوة لدى السلطان سليم حتى انهُ لما مثل بين يديهِ في جملة الامراء الذين انحازوا الى عسكرهِ قبَّل الارض بين يدي السلطان ودعا لهُ قائلاً . اللهمَّ ادم من اخترتهُ لملكك وجعلتهُ خليفة عهدك وسلطتهُ على عبادك وارضك وقلدتهُ سنتك وفرضك ناصر الشريعة النيرة الغراء وقائد الامة الطاهرة الظاهرة سيدنا ووليَّ نعمتنا امير المؤْمنين الامام العادل والزكي الفاضل الذي بيدهِ ازمة الامر بادنشاه ادام الله بقاه وفي العز الدائم ابقاه وخلَّد في الدنيا نعماه ورفع الى القيامة طالع سعدهِ وبلغهُ مأمولهُ وقصدهُ اللهمَّ امين . فلما انتهى الامير فخر الدين من ذلك الدعاء قرَّبهُ السلطان اليهِ واحبهُ وقال مثل هذا حقيق بان يُدعى سلطان البر وكان كل من تولَّى الاحكام في ذلك العصر يسمى سلطانًا اه (١)

---

(١) هذا ما نقلهُ الاستاذ الشرتوني عن الغرر الحسان ويغلب على الظن ان ذلك كان قبيل الزحف على مصر اي عقيب الانتصار على الغوري غير ان تشرشل يقول في تاريخ لبنان (جز. ٢ صحيفة ٣٢٧) ان فخر الدين لما مثل في حضرة السلطان سليم في دمشق بعد رجوعهِ من مصر نال الحظوة لديه فخلع عليهِ وجعلهُ سنجقًا على لبنان

ولا ندري لما لم يذكر الامير منصور الشهابي صاحب وادي التيم في جملة الامراء الذين مثلوا بين يدي السلطان سليم ونالوا الولاية من نعمهِ مع انهُ كان في جملة المنحازين الى جيشهِ فكأن المؤرخ لم يفصح باسمهِ بل عناهُ في جملة عظماء البلاد الذين عبَّر عن مثولهم لدى المولى بكلمة وغيرهم . اما امراء آل تنوخ فانهم لم ينالوا الحظوة لانهم كانوا من المتحيزين للملوك الجراكسة وقد كانت لهم في دولتهم العزة والمكانة فلما ادال الله منهم بالسلطنة العثمانية سقط التنوخيون من سدرة عزهم وبسطتهم وارتفع الى العلياء امراء آل معن. ولعلَّ هذا كان مغزى قول صاحب اخبار الاعيان ان بالامير فخر الدين بن عثمان غابت شمس الامارة التنوخية واشرقت شمس الامارة المعنية والاَّ فلا معنى لهذه العبارة لان فخر الدين هذا لم يكن اشهر بني معن كما قال لان اشهرهم هو فخر الدين الثاني الذي سنذكرهُ ولم يكن بفخر الدين الاول انقراض التنوخيين بل تقلَّص شيءٌ من نفوذهم لانهم عادوا فاحرزوا رضا رجال الدولة العلية حتى اننا قرأنا في اخبار الاعيان ان السلطان سليماً امر للامير شرف الدين يحيي التنوخي بالعلامة على مناشيرهِ حين جاءهُ الى دمشق ولم تغرب شمس امارتهم الا سنة ١٦٣٣ والله اعلم

وكأن الفاتح العظيم السلطان سليماً لم يرضَ بتغيير الاحوال الداخلية في مصر وسوريا تغييرًا كلياً بل اكتفى بسحق قوة المماليك الجراكسة وبعد ان رتَّب مصرًا على ما حسبهُ ادنى الى طاعتهِ واتى سوريًا اقرَّ فيها بعض الامراء على اقطاعاتهم كما مرَّ ونظَّم سائر بلدانها تنظيماً اختلف فيهِ المؤرخون فقد قال قولناي ان السلطان سليماً قسم سوريا الى خمس ولايات جعل على كلٍ منها عاملاً بلقب باشا وقال ان هذه الولايات هي حلب ودمشق وطرابلس وصيدا وفلسطين وان ولاية صيداء هي التي دعيت بعد ذلك ولاية عكاء. وقال جول داڤيد في تاريخ سوريا ان السلطان قسمها الى اربع ولايات وانها حلب وطرابلس وعكاء ودمشق ولم يذكر فلسطين والحال ان كلتا الروايتين مغلوط فيها فان من انعم النظر في تاريخ البلاد السورية قبل الفتح العثماني وبعدهُ يرى ان في زمن المماليك كانت نوابهم في كل بلدٍ من القطر السوري الأَّ ان اهمهم نائبا دمشق وحلب فلما وقع الفتح ولَّى السلطان سليم على حلب قرهجه باشا وعلى حماه قاسم باشا وعلى حمص احتمان اوغلو وعلى دمشق جان برد الغزالي وعلى طرابلس ابن ادريس البدليسي وعلى بيروت وصيداء ونواحيهما محمد بك قورقماز اوغلو. الأَّ ان هذا لم يدم طويلاً بل رأينا بعد الفتح انتظام الولايات كحلب والشام وغزة واما طرابلس فانتظمت ولايةً سنة ١٥٧٩

من يافا الى طرابلس. فكانت هذه النعمة مصدرًا لعزة المعنيين ورسوخ قدمهم في امارة لبنان وباعتلائهم تقلص ظلّ الامارة التنوخية

حين ارادت الدولة ان تكبت الامراء آل عساف التركمان فجعلت ايالة طرابلس من وادي قنديل وراء اللاذقية الى المعاملتين عند جونية واما صيداء فقد لبثت تابعةً ولاية الشام حتى اواسط القرن السابع عشر حين ارادت الدولة ان تجعل الوزير قريبًا من الدروز ليراقب حركاتهم وحسبنا دليلاً ما سنذكرهُ من احالة سنجقية صيداء لآل معن او غير واحدٍ من احزابهم

واما الضرائب فقد جعلها السلطان قسمين المال الاميري والخراج والاول على الاملاك والثاني على النصارى ولكن هذا الترتيب لم يشمل كل سوريًّا بل بقيت اقطاعات الامراء كانها معفاة من المال ومن الطاعة للوزراء يُستدل على هذا ليس فقط بنص بعض مؤرخي الفرنجة بل بما نُقل من ان السلطان سليمًا ولّى كسروان للامير عساف التركماني وفرض عليهِ مالاً ولم يُذكر ما ضرب على غيرهِ من الامراء الذين اجتمعوا لدى المولى واقرَّهم على اقطاعاتهم ولا غرابة في استلام كسروان لانها ظلّت ملحقةً بايالة دمشق حتى ضُمت الى طرابلس

وفي خلال ذلك نبذ الامير ناصر الدين محمد بن الحنش صاحب صيداء والبقاعين طاعة السلطان فزحف عليهِ جان برد الغزالي والي دمشق فالتقاهُ الامير جمال الدين الارسلاني وسار معهُ لفتح صيداء فلما اخذاها فرَّ ابن الحنش منها وعاد الظافران بها فدخلا الشوف لان الامراء آل معن اظهروا الميل لابن الحنش. ولسنا على بينةٍ من سبب هذا الانحراف عن جادة الولاء ولعلهُ كان لما وقر في نفوس المعنيين وغيرهم من امراء لبنان من الرغبة في الاستقلال عن كل سلطةٍ ولذلك قعدوا عن نجدة عسكر السلطان او انهم تظاهروا بما آخذهم فيهِ حتى استحقوا التأديب فجاءتهم عساكر الدولة وقبضت من المعنيين على الامراء زين الدين وقرقماز وعلَم الدين سليمان وعلى الامير شرف الدين يحيي التنوخي(٢) وكأن الامير فخر الدين توارى عن العيان فلم يقبض الغزالي عليهِ بل اكتفى بعزلهِ من الولاية وتفويضها للامير جمال الدين ارسلان جزاء اخلاصهِ وطاعتهِ فكان ذلك منشأ العداء بين الاميرين فخر الدين المعني وجمال الدين الارسلاني وسببًا لخروج فخر الدين بآلهِ من الحزب اليمني وصيرورتهم قيسيين

ولما قبض الغزاليّ على الامراء اخذهم معهُ الى صيداء ثم ارسلهم منها بحرًا الى صور ومنها بعثهم الى قلعة صفد فقلعة دمشق وكان السلطان سليم لم يزل في دمشق فجاءهُ اليها الامير فخر الدين يبرر نفسهُ وبنيهِ من وصمة العقوق فارتضى السلطان بذلك واقرَّهُ على ولايتهِ ولكنهُ

---

(٢) يذكر اخبار الاعيان هؤلاء الامراء زين الدين وقرقماز وعلم الدين سليمان من بني معن وذلك في اكثر من موضع واحد ولكننا نرتاب في صحة نسبهم ونظن زين الدين وعلم الدين سليمان من التنوخيين بدليل ما ورد عن وفاة زين الدين سنة ١٥١٩ وعن نسب علم الدين سليمان والله اعلم

لم يطلق سراح المعتقلين بل حملهم معهُ الى حلب واودعهم قلعتها حتي جاءهُ الخبر بقتل ابن الحنش فاطلقهم

وكل هذا يدل علي ان السلطان لم يكن راغباً يومئذٍ في مغاضبة القوم لئلاَّ يشغبوا عليهِ وهو على وشك الرحلة عن بلادهم ولم يكن عهدهُ بالفتوح قديماً ولا تمكنت منهم ربط الطاعة والولاء والاَّ لما اكتفى من فخر الدين بالكلام المزوَّق ولا ارتضى بتسريح المعتقلين الذين ساء فيهم ظنهُ

لكن هذا الحلم زاد القوم يقيناً في منفعتهم واعقبهُ تشاغل السلطان عن سوريا جملةً حتى وافتهُ المنية وتبوأ الاريكة ابنهُ السلطان سليمان فلم يحسب لمثل هذه الشراذم حساباً بل حدثتهُ نفسهُ الابية بغزواتٍ اهمَّ خطراً واعظم أثراً فتمادى المعنيون في منعتهم حتى صاروا لا يعبأُون بولاة الدولة الذين يجاورونهم وكانت بلادهم في غضون ذلك الامد تزداد عمارةً بمن يلجأُ اليها من اهل الجوار

وليس خفياً ان الذين كانوا يتجردون للقتال عند الحاجة لا يقاسون بامثالهم من اهل الحضارة في هذا العصر بل انهُ كان في عرفهم تجرُّد الرجال القادرين جميعهم الى الحرب واذا اعتبرنا شؤُون تلك الايام وان كل رجلٍ يتدجج بالسلاح دائماً حتى اذا ذهب للحراثة والاعمال اليومية تبين لنا كثرة رجال الحرب الذين يجتمعون تحت راية المعنيين عند مسيس الحاجة

ولا خفاء ان من عوائد تلك الايام ان يكون للولاة والحكام ملء السلطة والحرية في اعمالهم بحيث كانوا يعملون غير معارضين فتراهم سواءٌ كانوا من عمال الدولة المقيدين باوامرها او من الذين يحكمون بسلطتهم المخصوصة ولا قيد لهم الاَّ ظاهر الطاعة كلهم جُمَع يحاربون و يسالمون لاغراضٍ ذاتية لا ترجع الى مصلحة الدولة الحاكمة فيهم بل تتجه حروبهم الى بعضهم و يتحزب الواحد منهم ضد الآخر لغير داعيةٍ الاَّ استنجاد احد الفريقين بهِ. وعلي هذا كان المعنيون يُستصرَخون مراراً فيجردون عسكرهم ويقاتلون من استنفروا لقتالهِ أَلاَ تراهم كيف انجدوا آل سيف يومَ وقع الخلاف بينهم وبين محمد آغا شعيب حاكم طرابلس سنة ١٥٢٨. واما تحفزهم لمناواة الدولة سحابة زمانها فظاهر من تكرار نهضتهم عليها فقد ورد في تاريخ الدولة العلية العثمانية لجوانين ان الدروز انجدوا جان برد الغزالي لما شق عصا الطاعة عقيب وفاة السلطان سليم الفاتح فكأَن خلفهُ السلطان سليمان اكتفى بما نال من الظفر بالعاصي وركود الزعازع بعد اهتياجها ولم يحفل بالذين انجدوهُ

وستأتي تتمة الكلام علي الامراء آل معن في الجزء التالي

جرجي يني

حياة هكسلي واشغالهُ

من خطبة للورد افبري (السر جون لبوك) تلاها في مجمع علم الانسان (الانثربولوجيا) ببلاد الانكليز

لقد سررتُ بالدعوة من مجلس ادارتكم لتقديم الخطبة الاولى من الخطب التي تتلى تذكاراً لهكسلي لما في نفسي من الحب لهُ والاعجاب بهِ وللصداقة التي طال عهدها بيننا وليس ذلك فقط بل لانني شاركتهُ في انشاء هذا المجمع فقد كان رئيساً لجمعية علم الاخلاق فلما امتزجت مع جمعية علم الانسان وصارا مجمعاً واحداً رأينا كلنا انهُ يجب ان يكون هكسلي اول رئيس لهُ. ولم اقبل ان اكون انا الرئيس الاول الاَّ بعد ما رأينا اصرارهُ على الرفض . وتأسيس هذا المجمع هو شيءٌ من اشياء كثيرة شاركتهُ فيها فانني وان كنت دونهُ علماً ومعرفة انتصرت مثلهُ لدارون من حين نشر كتابهُ " اصل الانواع " وبذلتُ جهدي في الدفاع عن الحقائق العلمية ومقاومة الاضاليل وتلقّي الشتائم التي كانت تنهال عليهِ. ووقفت انا والسر جوزف هوكر الى جانبهِ في مناظرة اكسفرد الشهيرة سنة ١٨٦٠ وفي تلك السنة اشتركنا في تحرير مجلة التاريخ الطبيعي

واشتركت معهُ ايضاً في جمعية أُخرى صغيرة اسمها " اكس كَلَب " وكان من اعضائها جورج بسك سكرتير جمعية لينيوس الطبيعية وادورد فرنكلند رئيس الجمعية الكيماوية وهرست رئيس مدرسة علم الملاحة والسر جوزف هوكر وهربرت سبنسر ووليم سبوتسود رئيس الجمعية الملكية والاستاذ تندل . أُنشئت هذه الجمعية سنة ١٨٤٤ ومضى نحو ثماني عشرة سنة قبلما مات احد منا ولكن لم يبقَ منا الآن في قيد الحياة الاَّ انا وهوكر وسبنسر . وكنا نتعشى سوية مرةً كل شهر ما عدا اشهر الصيف الثلاثة ولم نكن نقرأ مقالات ولا نعمل اعمالاً رسمية وانما كان غرضنا جمع بعض الاصدقاء الذين تربطهم رابطة الصداقة ويشتغلون في مواضيع واحدة . ولم تحلَّ هذه الجمعية ولكننا اجتمعنا آخر مرة سنة ١٨٩٣ ثم لم نجتمع بعد ذلك . وسنة ١٨٦٩ انشأنا جمعية ما وراء الطبيعيات وسيأْتي الكلام عليها . ومن سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٥ كنت معهُ في اللجنة التي عينها دوق دفنشير للبحث في التعليم العلمي فاجتمعنا مراراً كثيرة واقررنا على امور شتَّى عُمل بها بالتدريج

وقضيت معهُ اوقات انس كثيرة في سويسرا وبرتني واماكن أُخرى واخيراً كنت جالساً معهُ في المجمع البريطاني بأُكسفرد لما خطب اللورد سلسبري خطبة الرئاسة وكان قد فُرِض عليهِ ان يقوم بعد الخطبة ويشكر اللورد سلسبري فاصغيت اليها وانا لا ادري ما يقول حينما

يقوم لشكرهِ. فالتفتَ اليَّ حينئذٍ واسرَّ في اذني قائلاً كم كنتُ اودُّ ان تُطرَح هذه الخطبة للبحث والمناظرة

وقد عزم من حداثة سنهِ على ان يبذل وسعهُ في كل عمل نافع وكان وسعهُ كبيرًا فاكثرَ من المطالعة وطالع كل كتاب وصلت اليهِ يدهُ من التوراة الى مقالات هملتن في الفلسفة. وكثيرًا ما كان يقضي وقت اللعب في المطالعة . وكان ميلهُ مصروفًا في اول الامر الى علم الهندسة العملية واراد ان يصير مهندسًا ثم مال الى علم الفسيولوجيا لان فيها هندسة الاجسام الحية وقال في هذا الصدد "ان الجانب الوحيد من شغلي الذي كان يلذُّ لي الاشتغال بهِ الفسيولوجيا التي هي هندسة الجسم الحي . ومع ان العلم الطبيعي كان شغلي الخاص لكنني لم اكن مولعًا بهِ فانني لم اجمع شيئًا من المجاميع الطبيعية وكان البحث عن الانواع عبئًا ثقيلاً عليَّ. وانما كنت اهتمُّ بالبحث عن بناء الاجسام وهندستها ووحدة نظامها مهما اختلفت انواعها"

وعُيّن سنة ١٨٤٦ للبحث الطبيعي في السفينة المسماة رتلسناك التي أُرسلت الى بحار المشرق للبحث فيها فوفى بما يُطلَب منهُ واوفى حتى يُستَغرَب مقدار ما اشتغلهُ في تلك الاحوال الحرجة كما قال السر ميخائيل فوستر في تأبينهِ فانهُ "اشتغل في وسط العوائق الكثيرة في مكان ضيق لا نور فيهِ طالبًا ان يكتشف اسرار الابنية الحيَّة الدقيقة بميكرسكوب ينود بنودان السفينة في حجرة حرجة لا يسمع فيها الَّا ضوضاء البحَّارة حيث لا كتب الَّا ما ندر ولا صديق يستشيرهُ في ما يراهُ من الغرائب الجديدة ومع ذلك جمع في تلك السنوات الاربع مقدارًا كبيرًا جدًّا من الحقائق العلميَّة الدقيقة واكثرها جديد ورسم كل ما راهُ رسمًا دقيقًا"

والحقيقة التي لا ريب فيها ان هكسلي كان من كبار الهمم الذين يفلحون في كل عمل اخذوا فيهِ . فكان من ارباب الاقلام ولو انقطع للانشاء لكان لهُ المقام الاعلى في ديوان الادب . ولم يكن في التصوير دون ما هو في الانشاء وكل الذين سمعوا خطبهُ يذكرون كيف كان يرسم بقلم الطباشير على اللوح الاسود رسومًا تظهر كالحقيقة تمامًا وقلمهُ اطوع من بنانهِ . وكان مغرمًا بالرسم حتى اذا كنَّا جالسين في لجنة لا ينفكُّ عن رسم الرسوم الهزلية على ما امامهُ من الورق مع انهُ كان يصغي اصغاءً تامًّا الى كل ما يقال. ولا شبهة في انهُ كان من ابلغ الخطباء. والخطابة موهبة عظيمة ونفعها للاساتذة كبير من غير ريب ولو قيّض لهُ ان ينتظم في سلك رجال السياسة لكان لهُ المقام الاسمى بينهم . وعندي انهُ لو انتُخب لمجلس النوَّاب لكان من قيامهِ فيهِ نفع للبلاد لا يُقدَّر فانهُ لم يكن في مجلس النوَّاب احد امهر منهُ في فن المناظرة . وخطبهُ مثل كتبهِ في الفصاحة وحسن البيان وتزيد عليها في ان السامع يضطر ان ينظر الى

الخطيب ويمعن نظرهُ فيهِ فيرى مهابةً وبساطةً وشخصًا تتعشَّقهُ القلوب كما تتعشق معانيهُ العقول. وخطبهُ التي كان يتلوها في ليالي الجُمَع في دار العلم الملكية كانت تضاهي خطب تندل في بلاغتها وإعجاب الناس بها وتقاطرهم لسماعها. ولم يكن كذلك في اول امرهِ بل كان فيهِ كل عيب من عيوب الخطباء على ما قال. ولما خطب خطبتهُ الاولى في دار العلم الملكية اتاهُ كتاب ينصحهُ فيهِ كاتبهُ ان لا يجرّب الخطابة مرةً أُخرى لانهُ لا يصلح لها. وخطب مرةً في علاقة الحيوان بالنبات فودَّ كثيرون ان لا يُدعي للخطابة مرةً اخرى. وقد اخبرني بعد ذلك انهُ كان يقوم للخطابة فيضطرب في اول الامر ويحصر عن الكلام مرارًا ولكنهُ لا يلبث ان ينطلق عقال لسانهِ فيجري كالسيل المنهمر

ولا شبهة في ان السامعين لا يصغون الاصغاء التام الاَّ الى ما يعنى الخطيب بالقائهِ عليهم. وقد كان هكسلي يبذل جهدهُ في جعل خطبهِ مفيدة ملذَّة لسامعيهِ سواءٌ كانوا من الخاصَّة في دار العلم الملكية او من العامة في مجامع العمال. وكان المظنون ان العلم شيءٌ رفيع لا يفهمهُ جمهور الناس فقام وابان ان العلم امر جوهري وثمارهُ دانية القطوف يفكه النفس اكثر مما تفكهها القصص والروايات ومَن لا يقتفِ خطوات العلم في مكتشفاتهِ الجديدة يحرم نفسهُ اكبر لذة من ملاذ الحياة واعظم هبة من المواهب التي منحنا اياها الله لان هذه المكتشفات غريبة مدهشة تسرُّ النفس وتفكهها وتطلعها على ما في الكون الذي حولنا من الجمال الرائع والاتقان المدهش والذي نحن فيهِ كلا شيء بالنسبة اليهِ ولو عددنا لانفسنا المقام الاول فيهِ

ولكل شيء وقت ولا يستطيع الانسان ان يوفي العلم حقهُ ما لم يرح نفسهُ من العناء ويجلي صدأ التعب بشيء من الهزل والمزح وقد كان هكسلي كثير الهزل فكه الحديث ينطلق لسانهُ بالمزح حين لا يُنتظَر منهُ ذلك. خطب احدهم مرة في طبائع الرتيلاء وذكر انها تهجم على زوجها بعد اقترانهِ بها وتمتص دمهُ فلا يمنعها حبُّها لهُ عن فتكها بهِ فلما قام هكسلي لشكرهِ على خطبتهِ قال ان هذه الحفلة اغرب حفلات الزواج التي شهدها في حياتهِ

وعهدت اليهِ مناصب كثيرة فكان كاتبًا للجمعية الملكية ثم رئيسًا لها ورئيسًا للجمعية الجيولوجية والجمعية الاتنولوجية واستاذًا لتشريح المقابلة من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٧٠ وامينًا للمتحف البريطاني ومديرًا لمدرسة العلم الملكية ورئيسًا لمجمع ترقية العلوم البريطاني ومفتشًا لمصايد الاسماك وعضوًا في مجلس ادارة مدرسة لندن الجامعة وعضوًا في عشر لجان ملكية وكان يخطب في دار العلم الملكية عدا الخطب التي تقتضيها وظيفتهُ. و سنة ١٨٩٢ جُعِل عضوًا في المجلس الخاص (مجلس الملكة) اعترافًا بخدمهِ الكثيرة لبلادهِ

(ثم افاض اللورد افبري في وصف اشغال هكسلي العلمية وذكر من المصطلحات والتدقيقات ما يتعذَّر فهمهُ على جمهور قرائنا وقال ان مقالاتهِ التي تليت في الجمعية الملكية تزيد على المئة وفي كلٍّ منها حقائق جديدة واستدلالات بديعة . ويتعذَّر علينا ان نترجم كل ما قالهُ في هذا الموضوع لاحتوائهِ على كثير من المصطلحات العلمية التي لم تترجم الى العربية حتى الآن وليس هذا محل ترجمتها وشرحها ولذلك نقتصر على بعض الاقوال التي نظنها اقرب تناولاً من غيرها قال)

لما وضع دارون كتابهُ في اصل الانواع لم يصرّح بان آراءهُ تشمل الانسان ولو استنتج كلٌّ من اطلع عليها انها تشملهُ . لكن المجاهرة بذلك كانت تقتضي علماً واسعاً وجرأة شديدة وقد قال وركو (العالم الالماني الشهير) ” ان الانسان والحيوانات الدنيا واحدة في المادة والبناء وان المشابهة الاساسية بين الانسان والحيوان معترف بها الآن عموماً “ . وعندي ان هذا القول ان صدق على المانيا لا يصدق على بلادنا لان كثيرين من رجالنا ونسائنا لا يصدقون رأي دارون ولا يفهمونهُ . وهم يحسبون انهُ قال ان الانسان متسلسل من القرود المعروفة وهذا غير صحيح لان الانسان لم يتولد من الغورلاَّ ولا من الارانغ اوتانغ ولكن الانسان والغورلاَّ والارانغ اوتانغ وغيرهما من القرود الشبيهة بالانسان متولدة كلها من اصل بعيد جدًّا . وقد قال هكسلي في هذا الصدد ” يمكننا ان نحكم ان هيكل الانسان الذي كان موجوداً في عصر البليوسين (من العصور الجيولوجية) لا يفرق عن هيكل الانسان في هذا العصر اكثر مما يفرق الفرس الذي وُجد في عصر البليوسين عن الفرس الذي في هذا العصر وحينئذٍ فانسان عصر البليوسين من جنس الانسان ولو عددتموهُ نوعاً قائماً برأسهِ . ولا استغرب ان نجد هيكل هذا الانسان في عصر البليوسين ونراهُ صغير الدماغ طويل اليدين متحرك ابهام الرجل “

وقد اكثر هكسلي من المقابلة بين الانسان وبين الشمبانزي والغورلاَّ حاسباً انهما اقرب انواع القرود اليهِ وهذا هو الواقع الآن . ولكن الجبون (نوع من القرد) الذي يختلف الآن عن الانسان كثيراً في حجمهِ واستعدادهِ للاعتراش كان من اقرب القرود الى الانسان على ما يظهر من العظام التي اكتشفها المسيو دبوى في جاوى فان نصف الثقات عدها عظام انسان والنصف الآخر عدها عظام جبون كبير . فاذا بحثنا عن اصل الانسان رأينا ان الجبون كان اقرب اليهِ من الغورلاَّ والشمبانزي . وقد قال هكسلي ايضاً ان الفرق بين انواع القرود في بناء اجسامها كبير جداً مثل الفرق بينها وبين الانسان او اكبر منهُ

وقال في مكان آخر ان احترامنا للانسان لا يقلُّ اذا عرفنا انهُ حيوان في الجسم مثل

سائر الحيوانات لانهُ هو وحدهُ قد وُهب قوة النطق وبها جمع اختبار افرادهِ منذ القرون الغابرة مما لم يستطعهُ غيرهُ من انواع الحيوان فوقف الآن فوقها كلها كأنهُ على ذروة جبل شامخ يعلو عنها علوًّا كبيرًا ويتجلّى بما ينعكس عنهُ من النور المستمدّ من مصدر الحق الازلي "

وسنة ١٨٧٠ انتخب عضوًا في مجلس ادارة المدارس الابتدائية بمدينة لندن فبقي فيهِ سنتين فقط لان صحتهُ لم تسمح باكثر من ذلك لكنهُ خدم مدينة لندن والبلاد كلها في هاتين السنتين خدمة لا تقدَّر وقد اشار ان يكون التعليم شاملاً الامور التالية

اولاً الرياضة البدنية والتمرين

ثانيًا الاعمال البيتية على انواعها ولاسيما للبنات

ثالثًا آداب السلوك

رابعًا التعليم العقلي ويراد بهِ القراءة والكتابة والحساب ومبادئ العلوم الطبيعية والموسيقى والرسم

وكان من رأيهِ انهُ يجب على كل ولد ان لا يخرج من المدرسة الاَّ وقد صار لهُ المام بمبادئ العلوم الطبيعية بنوع عام

اما من حيث التعليم العالي فكان من رأيهِ ان لا بدَّ من تعليم العلوم الطبيعية واللغات الحديثة وان لا تترك اللغات القديمة . وقد استشرتهُ منذ سنوات كما استشرت غيرهُ عما يرتئيهِ من حيث تقسيم ساعات الدرس في الاسبوع فارتأى ان تخصص عشر ساعات في الاسبوع للغات القديمة وآدابها وعشر ساعات للغات الحديثة وآدابها و ٨ ساعات للعلوم الحسابية و ٨ ساعات للعلوم الطبيعية وساعتان للجغرافيا وساعتان للعلوم الدينية

اما انا فارى ان الوقت الذي خُصص لتعليم اللغات القديمة يضيع سدًى فان اللحم جيد طيب الطعم ولكن اذا أُطعم الانسان لحمًا صبحًا وظهرًا ومساء يومًا بعد يوم كرهُ رائحة اللحم وطعمهُ. وكذلك الاكثار من درس اللغة اللاتينية يؤُول الى السآمة والضجر

وكثيرًا ما حثَّ على تعليم العلوم الطبيعية من الصغر وقال " ان الانسان المتعلم هو الذي تدرَّب من حداثة سنهِ حتى يصير جسمهُ آلة خاضعة لارادتهِ يفعل ما تشاءُ عن طيب نفس كأنهُ آلة ميكانيكية في دقة عملهِ وذهنهُ مثل آلة منطقية يشتغل اشغالهُ العقلية بالتأني والتبصر فيكون مثل آلة بخارية تصلح لكل عمل تنسج ادوق الخيوط وتطرق اكبر المراسي وعقلهُ مفعم بمعرفة حقائق الطبيعة ونواميس افعالها وقلبهُ مملوءٌ بالحياة والنشاط واهواؤُهُ خاضعة لارادتهِ وكلهُ عبدٌ لضمير صالح مستقيم يحبُّ كل ما هو جميل في الطبيعة والصناعة ويكرهُ كل قبيح دنيءٍ ويكرم غيرهُ كما يكرم نفسهُ "

وقال ان لا بدَّ من ان يكون التعليم عمومياً فيشمل العامَّة كما يشمل الخاصَّة لان العامة رجال ونساء مثل الخاصة وقواهم وقابلياتهم غير محدودة والشعب يهلك لقلة المعرفة

وقد تشكَّى مرة من ان خَدَمة الدين يهاجمونهُ دائماً و يعقّبون على كل كلمة يقولها و يتركون صديقهُ تندل يقول ما يشاء . لكن الامر لم يكن كذلك دائماً فقد مضيت مع تندل سنة ١٨٧٤ الى نابلي لنرى ثوران بركان يزوف وكان احد جوانبهِ كثير التحدُّر الى الهوة التي في قلبهِ فصعدتُ الى ذلك الجانب وخاطرتُ بنفسي حتى ارى الهوة ثم عدنا من هناك . وخطب تندل خطبتهُ المشهورة في مجمع ترقية العلوم البريطاني في بلفست فكان لها دويٌّ في كل المسكونة وقرأها كثيرون وانتقدها كثيرون . وذكرت احدى الجرائد تندل وهكسلي فمدحت هكسلي وذمَّت تندل وقالت في الختام "وافضل مثال لجهل الاستاذ تندل وتهوُّرهِ وحكمة الاستاذ هكسلي وتأنيهِ انهُ في الربيع الماضي بينما حمل الغرور والجهل تندل على اقتحام فوهة بركان يزوف كان هكسلي جالساً في مجلس ادارة المدارس بمدينة لندن"

ومما يحسن سوقهُ هنا ان تندل عاد من النزهة في نابلي بالصحة والنشاط . واما هكسلي فاعتلت صحتهُ من قيامهِ في مجلس المدارس

وقد استغرب الناس من هكسلي وهو في مجلس ادارة المدارس اقرارهُ على تدريس التوراة وقد اقرَّ على ذلك كل اعضاء المجلس ما عدا ستة ثلاثة منهم من الكاثوليك وهؤلاء لم يقترعوا مع الذين طلبوا تعليم التوراة ولا مع الذين رفضوهُ . لكن هكسلي كان يكرم التوراة ويقول انها الكتاب الوحيد الذي يرى فيهِ المرء نفع الصلاح وضرر الطلاح بامثلة كثيرة ترسخ في النفوس

وقد قال في هذا الصدد "اني لا أعرف غير التوراة مقياساً عملياً لحفظ الشعور الديني الذي هو الاساس الجوهري لسلوك الانسان في هذا العصر عصر الارتباك والاضطراب في الآراء والافكار فانك اذا حذفت منها ما لا نحب ان يطلع صغارنا عليهِ تبقى مفعمة بكل ما يهذب الاخلاق و يرقي الآداب. وزد على ذلك انها قد امتزجت في الثلاثة القرون الاخيرة باشرف ما في تاريخنا وافضلهِ . ولغتها ابلغ ما عندنا والمطَّلع عليها وان كان دارياً لم يغادر بيتهُ قط يعلم منها عن وجود بلدان اخرى واقوام آخرين وتاريخ قديم لنوع الانسان يمتدُّ الى اقدم ما يمتدُّ اليهِ تاريخ امم العالم . واي كتاب غير التوراة يرى قارئهُ ان كل امرءٍ ذُكر في ذلك التاريخ الواسع هو مثلهُ يملأ حيزاً صغيراً جداً بين الازل والابد ويُذكَر بالمدح او بالذم وينال الثواب او العقاب حسبما فعل خيراً كان او شرّاً "

(ستأتي البقية)

الحكومة والذباب

رأَى احد مستخدمي الحكومة المصرية بالامس ان يبدل رقماً برقم آخر في دفتر بيدهِ فرَق الحساب بسببهِ نحو مئة غرش لم تخسرها الحكومة ولا كسبها هو ولا خسرها احد ولا كسبها احد لانهُ فعل ذلك بعد نقل الحساب الى الدفاتر التي يحساب عليها فقامت عليهِ قيامة الحكومة من بوليسها ونيابتها وقضاتها وحكموا بادانتهِ ولا يبعد ان يحكموا عليهِ بالشنق او بما يقاربهُ . ونحن ورجال البوليس ورجال النيابة ورجال القضاء والمديرون والمفتشون والمستشارون والنظّار نرى القتَلة كل يوم يقتلون غيرهم بعد ان يذيقوهم العذاب الواناً ولا مَن يعترض ولا مَن يطالِب

وقد عنونّا هذه المقالة عنواناً غريباً لا نظن ان احداً يفهم المراد منهُ غير الاطباء ولكن غموض معناهُ على رجال الحكومة كلهم لا يعفيهم من تبعة القتل التي نشير اليها وكيف يعفيهم وهم يهتمون بمن يحرّف حرفاً او يغير رقماً جهلاً منهُ او لغير قصد سيء ويتركون زيداً ينصب شراك الردى لمئة نفس حتى يمرض كثيرون منهم ويموتوا بعد ان يتقلبوا على فراش الضنى اياماً واشهراً

اما المعنى الذي نشير اليهِ فهو هذا : ثبت منذ مدة ان الحمَّى التيفويدية التي يموت بها الوف كل سنة من سكان هذا القطر وتدخل بيوت الامراء كما تدخل اكواخ الصعاليك حاصلة من جراثيم صغيرة تكون في براز المصابين بها فاذا أُلقي برازهم في الطرق والشوارع ووقع عليها الذباب كما يقع عليها عادة علقت هذه الجراثيم بارجلهِ ثم انهُ يقع على الطعام او يقع فيهِ فتصل الجراثيم الى الطعام ويتعرّض الذين يأْكلونهُ لهذه الحمى الخبيثة ويصاب بعضهم بها حتماً فيمرضون ويموت بعضهم ان لم يموتوا كلهم

واي رجل من رجال البوليس او رجال الصحة او رجال النيابة او رجال القضاء اورجال الادارة يرى الناس يرمون المبرزات ويحسب ذلك ذنباً عليهم يحاكمون عليهِ واي رجل من رجال الادارة يعلم علم اليقين ان جارهُ نصب الحبائل لاغتيال ابنهِ او اخيهِ ولا يردعهُ عن ذلك ولا يقيم عليهِ النكير . ولكن كل مَن يلقي الاقذار في الشوارع وكل من يلقيها في اي مكان كان من غير ان يصبَّ فوقها مادَّة سامةً تميت ما فيها من الجراثيم هو بمثابة رجل ينصب الشباك ليصيد الناس ويميتهم بعد ان يعذبهم عذاباً اليماً ورجال الصحة والادارة ينظرون اليهِ ويغضُّون الطرف

والخوف من الذباب قديم فقد جاءَ في الحديث "اذا وقع الذباب في اناء احدكم فامقلوهُ (اي فاغسلوهُ) فان في احد جناحيْهِ داءً". ولكن اثبات ذلك علميًّا بالمشاهدة والامتحان حديثٌ. وقد بحث الدكتور هورد الاميركي بحثاً مدققاً في هذا الموضوع وقال في مقالة نشرها في اول

هذا العام في مجلة العلم العام" الاميركية انهُ لمَّا نشبت الحرب الاخيرة بين اسبانيا واميركا سنة ١٨٩٨ تفشَّت الحمَّى التيفويدية بين الجنود الاميركية في اماكن كثيرة فقال كثيرون من اطباء الجيش ان سبب تفشيها الذباب لان المراحيض تكون قرب المطابخ والمطاعم في كثير من المعسكرات فتنقل الذبان جراثيم الحمى من المراحيض الى الطعام. وكتب حينئذٍ الدكتور ڤيدر مقالةً مسهبة في السجل الطبي موضوعها "الذباب لنشر الامراض بين الجنود" اقام فيها الادلة الكثيرة على ان الذباب ينقل جراثيم هذه الحمى وهو سبب انتشارها . وكان كثيرون من الاطباء قد ذهبوا الى مثل ذلك منذ سنة ١٨٨٨ ولكن لم يعمل بقولهم فمرض خمس الجنود الاميركية بالتيفويد ومات كثيرون منهم بها حتى قدَّروا ان اربعة اخماس الوفيات كلها كانت بهذه الحمى

والذباب انواع مختلفة كما لا يخفى ولكن الذباب الذي يرى في البيوت عادةً اكثرها انتشاراً ولا يخلو منهُ بيت ولاسيما المطابخ وبيوت الطعام واكثرهُ يتولَّد من زبل الخيل لا لانهُ ينشأُ منهُ كما قال الدميري وغيرهُ من علماء الحيوان بل لان الذبابة تبيض في الزبل ثم يتولد الذباب من بيضها . وقد جمع الدكتور هورد ٢٣٠٨٧ ذبابةً من البيوت والمطابخ واستقصى نوع كل ذبابة منها فوجد الذباب العادي منها ٢٢٨٠٨ اي نحو ٩٩ في المئة وهو يبيض ويتولَّد في زبل الخيل عادةً لكنهُ يبيض ويتولَّد ايضاً في مبرزات الناس كما ثبت لهُ بالامتحان والمشاهدة . ويحوم على المبرزات اذا كانت مطروحة قرب المنازل وفي الشوارع القذرة وقد يبيض ويتولَّد فيها ايضاً وهذا شأن نوع آخر من الذباب يسمى ذباب الفاكهة وهو كثير الوقوع على المبرزات ولكنهُ غير كثير كالذباب العادي

ثم ان جراثيم الحمى التيفويدية توجد في مبرزات من يصاب بها قبلما يثبت انهُ مصاب بها وتوجد في مبرزاتهِ بعد ما يشفى من الحمى بايَّام فتكون مقرًّا للعدوى قبل ظهور الحمى بايام ومدة ظهورها وبعد شفائها بايام حتى اذا طُرحت هذه المبرزات بقرب المنازل اجتمع الذباب عليها وحمل جراثيم العدوى منها على ارجلهِ واجنحتهِ ونقلها الى الطعام الذي يجتمع عليهِ او يقع فيهِ

وقد رأينا في الصيف الماضي ان الذبان قليلة جدًّا في مدينة باريس على ما كان فيها من الازدحام الفائق الحد وكثيرة جدًّا في جبال سويسرا على بعد المنازل وتفرُّق الناس فيها ولا يعلَّل ذلك الاَّ بأَن الاشياء التي تتولد الذبان فيها لم تكن موجودة في باريس لشدَّة الاعتناء بالنظافة ولأَن المراحيض كلها مقفلة لا سبيل للذبان اليها واما في جبال سويسرا فالمراحيض مكشوفة وكذلك مزارب الخيل والبقر والزبل اكوام فيها وامامها فيجد الذباب مكاناً صالحاً

لتولدهِ وتكاثرهِ فيتكاثر وينمو ولا سيما في ايام الحر . والظاهر ان حرارة الزبل تقيهِ برد الشتاء فيبقى من سنة الى أُخرى

ونحن في هذه العاصمة وفي كل مدن القطر المصري وقراهُ نشكو مرَّ الشكوى من كثرة الذباب صيفاً وشتاءً ولو اقتصر ضررهُ على ما نشعر بهِ من القلق والضجر من كثرة وقوعهِ على البدن والطعام وادوات القراءة والكتابة لهان امرهُ ولقلنا انهُ من جملة المتاعب التي لا تخلو بلاد منها. ولكن ضررهُ لا يقف عند هذا الحد بل ان الجانب الاكبر من الرمد والعمى ناتج عنهُ والجانب الاكبر من الامراض المعدية تنتقل عدواهُ بهِ

وقد اتضح مما تقدم انهُ اذا لم يوجد في بلد زبل ومبرزات مكشوفة حيث يبيض الذباب ويولد استئصلت شأفتهُ من ذلك البلد ولو كان من اشد البلدان حرارة واكثرها ازدحاماً وان كان استئصالهُ ممكناً في مدينة كبيرة مثل باريس في اشد الشهور حرارة واكثر الاوقات ازدحاماً فعلى مَ لا يكون ممكناً في كل مدينة

ونعود الى رجال الحكومة الذين يحاسبون كل احد على كل هفوة وتراهم قائمين بالمرصاد لكل من يغير رقماً ويحرّف حرفاً ونقول لهم ان كانت القضايا المتقدمة حقائق راهنة ان كان الذباب ينشر عدوى الرمد والتيفويد والدفثيريا والكوليرا والسل واكثر الامراض المعدية وان كان يولد في زبل الخيل ومبرزات الناس وان كان تنظيف المدن من هذه الاقذار ممكناً وهو مما يستطاع حتى في اكبر المدن واكثرها ازدحاماً فعلى مَ لا تبذلون الهمة في تنظيف هذه العاصمة وغيرها من مدن القطر وعلى مَ لا تسنُّون قانوناً يعدُّ من يلقي الاقذار في الشوارع مجرماً يستحقُّ المحاكمة كمن يتربص لقتل غيرهِ. والى متى يحسب رجال الادارة انهم يستطيعون ان يديروا شؤُون العباد وهم لا يعلمون العلوم الطبيعية ولا يجرون على حسب ما تأمر بهِ

ثم ان مطالبة رجال الحكومة بتنظيف البلاد لا تعفي الرعية من معرفة هذه الحقائق والعمل بها . ولا ينتظر من رجال الحكومة ان يعملوا ما يطالَب بهِ كل انسان في بيتهِ ودارهِ ولا هم قادرون ان ينظفوا بلداً لا يساعدهم اهلهُ على تنظيفهِ فيجب ان ترسخ الحقائق المتقدمة في اذهان الرعية قبل رسوخها في اذهان رجال الحكومة . وسقياً لبلاد يعلم رعاتها ورعيتها كل المكتشفات العلمية وكل النتائج التي وصل اليها العلم الطبيعي ويعملون بها. ”والامة التي تعلم بنيها التعليم الاكثر تصير العظمى بين الامم ان لم يكن اليوم فغداً“ كما قال الفيلسوف جول سيمون . ولا تفلح امة ما لم يكن وزراؤُها علماء كما قال الفيلسوف ارسطوطاليس

السير تحت الماء

جاءنا احد الادباء بالامس مرتاباً في صحة ما نشرناهُ في الجزء السادس من المجلد الماضي عن السفينة ارغونوت التي تغوص بركابها في البحر وتسير بهم فيهِ . وهو يحسب انهُ يستحيل ان تُفتَح كوَّة في اسفل السفينة ولا يدخل الماء منها مع ان ما يظنهُ مستحيلاً هو من المبادئ الاولى في علم الطبيعيات لان جسمين لا يشغلان حيزاً واحداً في وقت واحد وما دام الهواء في الغرفة التي في جوف السفينة وكوَّتها من الاسفل فالماء الخارجي يمنع الهواء من الخروج منها وهذا الهواء نفسهُ يمنع الماء من الدخول اليها

واتَّفق انهُ ذاكرنا في هذا الموضوع ونحن نقرأُ المقالات الضافية عن اهتمام الاوربيين بهذه السفن وحسبانها ان الدولة التي لا تبني كثيراً منها لوقاية بوارجها وسواحلها لا تستطيع ان تبقى دولةً بحرية . ولم نرَ عملاً علَّق عليهِ الكتَّاب شأناً اكبر مما علقوهُ على استنباط السفن التي تجري تحت الماء ولذلك رأينا ان نشبع الكلام عليها هنا معتمدين على ما كتبهُ الاستاذ برادلي الاميركي وغيرهُ من كبار الكتَّاب فنقول

نقل الاستاذ برادلي عن الكومنودر كَبُل الذي كان يدير سفن التربيد الاميركية في الحرب بين اسبانيا واميركا "انهُ ان كان لسفن التربيد التي تجري على سطح البحر شأن في الحروب البحرية وكان الغرض الاول منها ان تبيّت البوارج التي تقصد حصر المرافئ فلسفن التربيد التي تجري تحت الماء شأن اهم من هذا القبيل لانها هي وحدها تستطيع ان تهاجم بوارج العدو نهاراً . وهي وحدها تقدر ان تدنو من بوارج العدو في نور النهار غير راهبة مدافعها ومتلفات التربيد التي حولها فتضطرها ان تولي فارَّة او ترتضي الهلاك . ولا شيء يمنع انشاء هذه السفن وسيرها تحت الماء كما ثبت بالامتحان من السفينة التي نراها الآن في هذا المرفإِ (السفينة المسماة هولند باسم صانعها كما سيجيء) لانهُ قد ثبت بالامتحان انهُ يسهل غوصها في الماء وسيرها فيهِ ويمكن ابقاؤها على اي عمق أُريد تحت وجه الماء حتى على قدم واحدة واظهار القسم الاعلى منها بضع ثوانٍ فقط فوق الماء ثم الغوص والذهاب في الماء كلَّ مذهب"

وقال الاميرال جوّت في مجلس الشيوخ الاميركي "انهُ ان كان معي اسطول وكنت حاصراً بهِ مرفأً من مرافئ العدو وعلمت ان عندهُ ستًّا من هذه السفن مثل الهولند اضطررت ان اترك حصر المرفإِ واهرب باسطولي في عرض البحر مخافة ان يتلف كلهُ"

وكتب الضابط نبلاك الذي كان يدير احدى سفن التربيد في الحرب الاخيرة ان السفن

التي تسير تحت الماء جعلت حصر المرافئ ضرباً من المحال على المدى الذي تصل اليهِ تلك السفن

وقال الاميرال دوي في مجلس النواب الاميركي في ٢٣ ابريل الماضي " اني شهدت السفينة هولند بالامس وقلت حينئذٍ في نفسي ولا ازال اقول الآن انهُ لو كان عند الاسبانيين

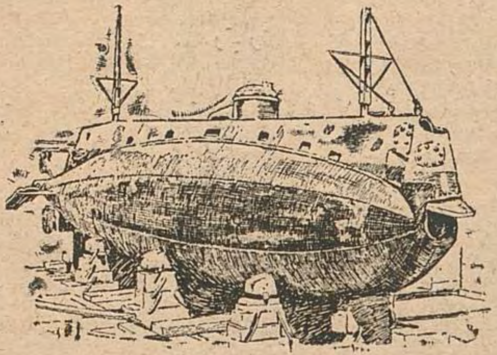

ش ١ الهولند في البر

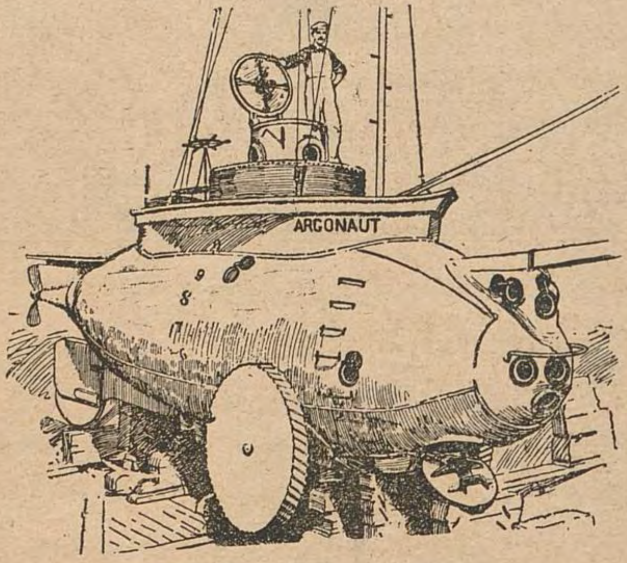

ش ٢ الارغونوت في البر

سفينتان مثلها في منلا لما استطعت ان استولي عليها بالاسطول الذي كان معي "

وكتب الاميرال هتشبُرن في شهر يونيو الماضي " ان السفن التي تجري تحت الماء اوقى لشواطئ بلادنا من كل واسطة اخرى ممكنة "

والغوص تحت الماء قديم جدًّا وكان الغوَّاصون ينزلون الى قاع البحر في ناقوس الغواصين من ايام ارسطوطاليس ولكن الناقوس والتنين وكل آلات الغوص لا يقدر احد ان يقيم فيها اكثر من دقيقتين ما لم يُرسَل الهواء النقي اليهِ ويخرَج الهواء الفاسد وهي لا تصلح للسير تحت الماء من جهة الى أُخرى ولذلك حاول كثيرون منذ ثلاثمئة سنة الى الآن بناء سفن صغيرة يحفظون فيها الهواء و يسيرون بها تحت الماء وتبارى في هذا المضمار اناس من اهالي انكلترا وفرنسا وهولندا واسبانيا واسوج و نروج وايطاليا وروسيا والولايات المتحدة . وكان الاهتمام الاكبر لفرنسا والاقل لانكلترا والنجاح لاميركا

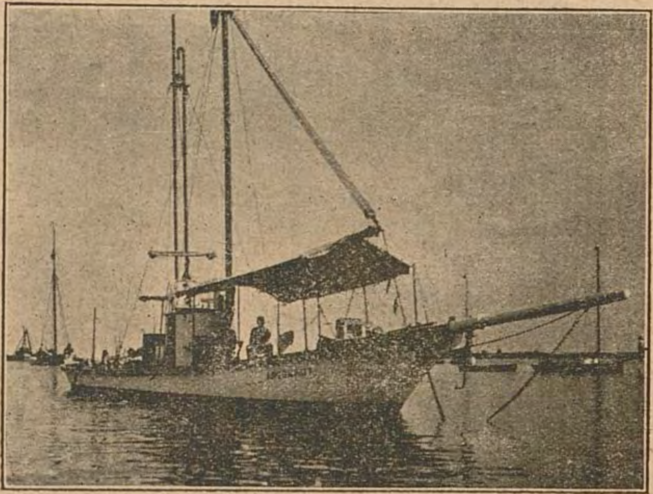

ش ٣ سفينة الارغونوت فوق الماء

ففي سنة ١٦٢٤ بنى رجل هولندي اسمهُ فان دربل قاربًا سار فيهِ قليلاً تحت الماء في نهر التمس بمدينة لندن لكنهُ عُدَّ ساحرًا مستخدمًا للشيطان فاجتنبهُ الناس ومات ولم يطلع احدًا على سرّهِ لانهُ كان يدَّعي انهُ اكتشف سائلاً يطهر الهواء الفاسد ويجعلهُ صالحًا للتنفس . فان كان صادقًا في دعواهُ فمن المحتمل انهُ اكتشف سائلاً يمتص الحامض الكربونيك من الهواء فيزيل منهُ ما يمنع تنفسهُ ولو استُنْشِق مرارًا

وفي اواخر القرن الثامن عشر صنع مهندس اسمهُ داي قاربًا يسير تحت الماء وسار بهِ في مرفإٍ بليموث ببلاد الانكليز اول مرةٍ ثم غاص ثانية فقضي عليهِ . وصنع رجل اميركي قاربًا يسير تحت الماء في بداءة حرب الحرية وحاول الدنو بهِ من بارجة انكليزية فيها ٦٤ مدفعاً

ليمكن بها تربيداً ثم يطلقهُ فلم يفلح مع انهُ جرَّب ذلك ثلاث مرات واخيراً اكتشفت البارجة قاربهُ واطلقت عليهِ مدفعاً فاغرقتهُ. وسنة ١٨٠٠ صنع فلتن ابو السفن البخارية قارباً يسير تحت الماء صنعهُ لنبوليون الاول ونسف بهِ سفينة قديمة في مرفإ برست لكن نبوليون لم يعتنِ بامرهِ فلم ينتج منهُ شيءٌ

ولما نشبت الحرب الاهلية الاميركية سنة ١٨٩٤ صنع اهالي الولايات الجنوبية قارباً صغيراً يسير تحت الماء نسفوا بهِ بارجة اهالي الولايات الشمالية المسماة هوزاتونيك ومحمولها ١٢٦٤ طناً فاغرقوها . قال احد ضباطها انهُ شاهد شيئاً صغيراً يتحرك على وجه الماء فاخبر رفاقهُ بذلك وكانوا عالمين ان اهالي الجنوب صنعوا قوارب تسير تحت الماء لنسف سفنهم فاوجسوا خيفة وقطعوا مرساة البارجة وحاولوا الهرب بها في عرض البحر ولكن القارب وصل اليها حالاً ووضع تربيداً تحتها واطلقهُ فزلزلت الارض زلزالها وارتفعت البارجة في الجو ثم غاصت في قلب البحر وكان البحارة قد صعدوا كلهم على ظهرها وتعلقوا بحبالها فلم يغرقوا فيها وكان على مقربة منها بارجة أُخرى فبعثت بالقوارب اليهم وانقذتهم . اما القارب الذي اغرق البارجة فوُجد داخلاً في ثغرة كبيرة في جنبها وهي الثغرة التي احدثها فيها التربيد كأنَّ ماء البحر ادخلهُ معهُ في الثغرة لما هجَّم ليملأَ الفراغ وكان فيهِ تسعة من البحارة فهلكوا كلهم . وقد جُرِّب هذا القارب قبلاً فغرق ومات كل بحارتهِ الاَّ رئيسهم ثم نشل من العمق وعاد الرئيس اليهِ مع بحَّارة آخرين فقلب بهم ثانية ولم ينجُ منهم الاَّ اربعة . فقام واحد منهم واتى ببحارة آخرين فغرق بهم ثالثة ولم ينجُ منهم احد . ثم نشل من الماء وركبهُ الذين اغرقوا بهِ البارجة وهم عالمون انهم ساعون الى حتفهم بظلفهم ولكن اقتحام المخاطر في سبيل الغرض السياسي سجية عند الاوربيين والاميركيين تباع بها النفوس بيع السماح

وتوالت المخترعات والمكتشفات وصُنعت قوارب كثيرة تسير تحت الماء الى ان استتبَّ النجاح اخيراً للمستر هولند الذي صنع السفينة المسماة باسمهِ وقد اشترتها منهُ الحكومة الاميركية واوصت على ست سفن اخرى من نوعها . وصنع المستر لاك السفينة المسماة بالارغونوت التي وصفناها في الجزء السادس الماضي وقد رسمنا في صفحة سابقة صورة الهولند كما هي قبل انزالها في الماء . وهي تغوص في الماء حتى لا يبقى ظاهراً منها الاَّ انبوب صغير وفيها آلة بخارية يحرق بها الغازولين فتدفعها الى حيث يشاء الذين فيها وسيتضح ذلك من وصف الارغونوت

وسفينة الارغونوت شكلها مثل شكل الهولند تقريباً كما ترى في الشكل الثاني لكن جسمها الاسفل مخروطي الشكل كمخروطين متصلين من قاعدتيهما واما الهولند فشكلها هرمي. وللارغونوت

ثلاث عجلات تسير عليها وهي في قاع البحر واما الهولند فلا عجل لها . واذا وُضعت الارغونوت في الماء بانت كسفينة عادية كما ترى في الشكل الثالث ثم اذا اريد ان تغوص في الماء صُبَّ الماء في حياض حول جوفها كما في الشكل الرابع وهو مقطوع الارغونوت العرضي اي لو قطعت سفينة الارغونوت من اعلاها الى اسفلها قطعاً عرضيًّا لظهر في اعلاها الانبوب الذي ينزل منهُ الناس الى جوفها وترى فيهِ رجلاً نازلاً على سلم وحول اعلاهُ الحوض الذي يوضع فيهِ الغازولين للايقاد في آلتها البخارية وحول جوفها الحياض التي يصب فيها الماء بمضخة فتثقل السفينة وتغوص في الماء بمن فيها او ينزع منها الماء بالمضخة فتخف وترتفع من الماء . وبزيادة الماء وقلتهِ في هذه الحياض تهبط السفينة وتعلو الى الحد المطلوب

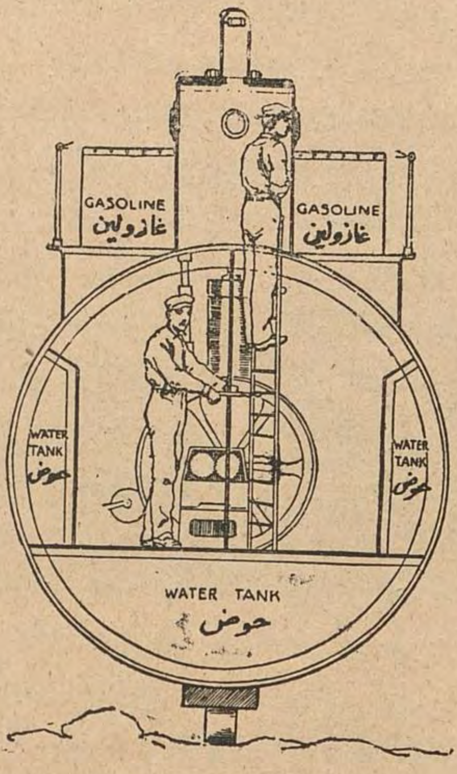

ش ٤ مقطوع الارغونوت العرضي

وترى في الشكل الخامس مقطوع الارغونوت الطولي اي اذا قطعت قطعاً طوليًّا من مقدَّمها الى مؤخرها فترى فيها انبوباً لدخول الهواء وانبوباً آخر لخروج الغازات وتحتهُ عند الحرف A الآلة البخارية التي تدور فتسير بها السفينة وترى عند الحرف H الغرفة التي فتح بابها الاسفل

ونزل منها الغوّاص في البحر وعند الحرف L غرفة اخرى فيها رجل ينظر الى البحر من كوَّة زجاجية . وقد كبرت صور الرجال لكي يظهروا ظهورًا واضحًا وهم اصغر بالنسبة الى السفينة مما رسموا هنا . وجوف الهولند مثل جوف الارغونوت تقريبًا اي انهُ مشمول بحياض الماء ولكنَّ ركابهُ لا ينزلون منهُ الى البحر ولهُ دفة يديرها رجل خبير فيتحكم بوضع السفينة تحت وجه الماء. وطول الهولند ٥٤ قدمًا وقوة آلتها البخارية ٤٥ حصانًا وتستطيع ان تسير بها مئة ميل على سطح البحر بما فيها من الغازولين وفيها آلات تذخر فيها القوة الكهربائية فتسير بها ثلاثين ميلاً تحت وجه الماء . وفيها ثلاث تربيدات وانبوب لقذف المواد الجهنمية فاذا اريد ان تهاجم بارجة من بوارج العدو وُجهت نحوها وغاصت في الماء وكلما سارت ميلاً رفع اعلى برجها الى وجهِ الماء لتحكيمها في جهة البارجة لئلاَّ تكون قد حادت عنها لان الذين في الماء لا يرون شيئًا بعيدًا عنهم ثم تغوّص في الماء وتسير حتى اذا صارت على مقربة من البارجة نهضت من الماء واطلقت عليها تربيدًا من تربيداتها ثم غاصت في الماء وعادت من حيث اتت . وحينما يظهر رأس برجها فوق الماء لا يكون ظهوره الا لحظة فلا يتهيأُ للبارجة ان تحكّم عليها مدافعها لو رأتها . ومهما كان درع البارجة ثخينًا لا يقيها تربيد الهولند . واذا علمت دولة من الدول البحرية ان عند خصيمتها قوارب مثل الهولند تغتال بوارجها على غرَّة حتى ان البارجة التي تبلغ نفقات بنائها وتجهيزها مليونًا من الجنيهات وفيها نحو الف من البحارة والجنود يطلق عليها تربيد واحد فيغرقها بمن فيها في لحظة من الزمان والقارب الواحد يستطيع ان يغرق ثلاث بوارج كبيرة في اقل من ساعة — اذا علمت تلك الدولة ذلك استحال ان تخاطر ببوارجها وتهاجم الدولة

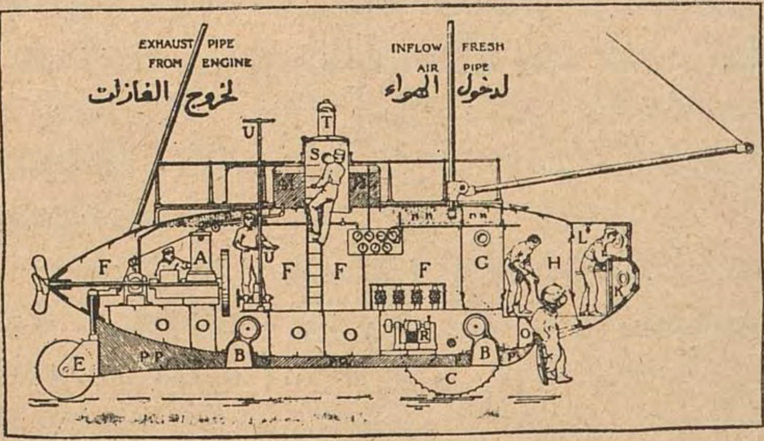

ش ٥ مقطوع الارغونوت الطولي

التي عندها قوارب تسير تحت الماء وان خاطرت يبقى الخوف مستوليًا على بحارتها فلا يستطيعون ان يعملوا عملاً بحريًا

التربية والحجاب

من كتاب ’المرأة الجديدة‘ لقاسم بك امين القاضي بمحكمة الاستئناف المصرية

لو لم يكن في الحجاب عيب الاَّ انهُ منافٍ للحرية الانسانية وانهُ صار بالمرأة الى حيث يستحيل عليها ان تتمتع بالحقوق التي خولتها لها الشريعة الغراءُ والقوانين الوضعية فجعلها في حكم القاصر لا تستطيع ان تباشر عملاً ما بنفسها مع ان الشرع يعترف لها في تدبير شؤُونها المعاشية بكفاءَة مساوية لكفاءَة الرجل وجعلها سجينة مع ان القانون يعتبر لها من الحرية ما يعتبرهُ للرجل — لو لم يكن في الحجاب الاَّ هذا العيب لكفى وحدهُ في مقتهِ وفي ان ينفر منهُ كل طبع غُرز فيهِ الميل الى احترام الحقوق والشعور بلذة الحرية . ولكن الضرر الاعظم للحجاب فوق جميع ما سبق هو انهُ يحول بين المرأة واستكمال تربيتها

اذا تقرَّر ان تربية المرأة من الضرورات التي لا يمكن أن يستغنى عنها فما هي التربية التي تناسبها ؟ هل يناسبها تربية كتربية الرجل او تخص بتربية اخرى ؟ وهل يمكن تربيتها مع الحجاب او لا بد فيها من ابطالهِ ؟ وهل يعمل فيها على قواعد تؤْخذ من العلوم الغربية الحديثة او يُرجَع فيها الى اصول المدنية الاسلامية القديمة ؟

هذه المسائل تدخل في باب التربية والحجاب وقد دار البحث والجدال فيها في العام الماضي بين كثير من الكتاب والآن نريد ان نبدي رأينا فيها على غاية من الوضوح

في المسألة الاولى — لا نجد من الصواب ان تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل . اما من جهة التربية الجسمية فلأَن المرأة محتاجة الى الصحة كالرجل فيجب ان تتعود على الرياضة كما تفعل النساءُ الغربيات اللواتي يشاركنَ اقاربهنَّ الرجال في اغلب الرياضات البدنية . ويلزم ان تعتاد ذلك من اول نشأَتها وتستمرّ عليهِ من غير انقطاع والاَّ ضعفت صحتها وصارت عرضة للامراض . ذلك لان النواميس الطبيعية تقضي بضرورة التوازن بين ما يكسبهُ الجسم وما يفقدهُ بحيث لو اختلَّ هذا التوازن فسدت الصحة واختل نظامها . والامراض التي تصيب الانسان بسبب اهمالهِ استعمال قواهُ الجسمية ليست باقل عددًا ولا باخف ضررًا من الامراض التي تصيب من ينفق قوتهُ ولا يعوض بالتغذية ما فقد منها . ثم ان ما تقاسيهِ المرأة من الآلام

والمشقات حين الولادة في مرة واحدة ربما يزيد على ما يعانيهِ الرجل من المتاعب طول حياتهِ ولا يحتملهُ من النساء الاَّ قويات المزاج صحيحات الاجسام كنساء القرى المتعودات على العمل البدني المتمتعات بالهواء النقي. أَما نساء المدن المحرومات من الحركة والتمتع بالشمس والهواء فلا قدرة لهنَّ على احتمال هذه المشقات ولذلك فان اكثرهنَّ يعشنَ عليلات بعد الولادة الاولى وكثيرًا ما يهلكنَ فيها فقد بلغ عدد من يموت منهنَّ في النفاس اكثر من ثلاثين في الالف

وكما تلزم العناية بصحة المرأَة لوقايتها من المرض والموت كذلك يلزم العناية بصحتها حرصًا على صحة اولادها ووقايتهم من العلل . لان ما يعرض على مزاج الام وما يكون فيهِ من الاستعداد للمرض ينتقل بالوراثة الى الاولاد

واما من جهة التربية الادبية فلأَن الطبيعة قد اختارت المرأَة وندبتها الى المحافظة على آداب النوع فسلمتها زمام الاخلاق وائتمنتها عليها . فهي التي تضع النفوس وهي ساذجة لا شكل لها فتصوغها في اشكال الاخلاق وتنشر تلك الاخلاق بين اولادها فينقلونها الى من يتصل بهم فتصبح اخلاقًا للامة بعد ان كانت اخلاقًا للعائلة كما كانت اخلاقًا للعائلة بعد ان كانت اخلاقًا للأُم . هذا يدلنا على ان المرأَة الصالحة هي انفع لنوعها من الرجل الصالح والمرأَة الفاسدة هي اضرُّ عليهِ من الرجل الفاسد . ولعل هذا هو السبب في ما وقر في نفوس الناس في كل زمان من أن الرذيلة الواحدة اذا تدنست بها المرأَة حطت من قدرها اكثر مما تحط من شأن الرجل لو تدنس بها وان الفضيلة تعلي من شأن المرأَة ما لا تعليهِ من شأن الرجل

بقي علينا الكلام على القسم الاخير من التربية وهو التربية العقلية . هذه التربية هي عبارة عن تعلم العلوم والفنون والغاية التي ترمي اليها هي ان يعرف الانسان ما في الكون من الموجودات حتى اذا عرف ذلك على حقيقتهِ امكنهُ ان يوجه اعمالهُ الى ما يعود عليهِ بالنفع ويتمتع بلذة المعرفة فيعيش سعيدًا

ولا تحصل المرأَة على المطلوب من هذه التربية العقلية بتعلمها القراءة والكتابة واللغات الاجنبية بل تحتاج ايضًا لتعلم اصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية لكي تعرف القوانين الصحيحة التي ترجع اليها حركات الكائنات واحوال الانسان كما انها تحتاج لتعلم مبادىء قانون الصحة ووظائف الاعضاء حتى يمكنها ان تقوم بتربية اولادها

والمهم في هذه التربية هو تشويق عقل المرأَة الى البحث عن الحقيقة وليس حشو ذهنها بالمواد. حتى اذا انتهت مدة تعليمها في المدارس استمرَّ شوقها الى الحق فتتحرك دائمًا اليهِ وتعتبر بهِ وأُضف على ذلك انهُ ينبغي على البنت ان تتعلم صناعة الطعام وترتيب البيت

ولا بدَّ هنا من استلفات النظر الى وجوب الاعتناء بتربية الذوق عند المرأة وتنمية الميل في نفسها الى الفنون الجميلة . واني على يقين من ان اغلب القراء لا يستحسنون ان تتعلم البنات الموسيقى والرسم لان منهم من يرى ان لا فائدة في الاشتغال بهذه الفنون ومنهم من يعدها من الملاهي التي تنافي الحشمة والوقار . وقد ترتب على هذا الوهم الفاسد انحطاط درجة هذه الفنون في بلادنا الى حدٍّ يأسف عليهِ كل من عرف ما لها من الفائدة في ترقية احوال الامم

هذه هي التربية التي نود ان تكون للبنات وقد بينَّاها اجمالاً لان المقام لا يسمح ببيانها تفصيلاً . هذه هي التربية الكاملة التي تيسر للمرأة الجمع بين واجباتها المختلفة المتعددة فتعدها لأَن تكون انساناً يكسب عيشهُ بنفسهِ وزوجة قادرة على ان تحصل لعائلتها اسباب الراحة والهناء واماً صالحة لتربية اولادها

متى انتهت تربية البنت باتخاذ ما يلزم من الوسائل لتنمية قواها الجسمية وملكاتها العقلية تكون قد بلغت الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرها فما الذي ينبغي ان تكون عليهِ بعد ذلك ؟ وكيف تعيش ؟ أَتحجَّب في بيتها وتُمنع عن مخالطة الرجال أَم تطلق لها الحرية في ذلك ؟ هذا هو موضوع البحث في المسأَلة الثانية والثالثة وسنتكلم عليهما معاً لما بينهما من الارتباط

رأَى المنتقدون على تحرير المرأة اننا تطرفنا في مسأَلة الحجاب واننا اشرنا برفعهِ تقليداً للعادات الغربية وزعموا ان الحجاب لا يوجب انحطاط المرأة ولا يترتب عليهِ ضرر لها ولذلك ذهبوا الى وجوب استبقائهِ والمحافظة عليهِ وقالوا ان الذي حطَّ بالمرأَة عن منزلتها انما هو عدم التربية فلو تربَّت تربية حسنة لامكنها وهي في الحجاب ان تقوم بواجباتها احسن قيام

على اننا بعد ان دققنا النظر في جميع ما قيل او كُتب في هذا الشأْن لا نزال على رأْينا ولم يزدنا تكرار البحث فيهِ الاَّ وثوقاً بصحة ما ذهبنا اليهِ

ولا نرى سبباً للخلاف بيننا وبين مناظرينا الاَّ الاختلاف في فهم معنى التربية فهم يرون ان التربية هي التعلُّم وذلك يتم على رأْيهم بمكث الصغير في المدرسة سنين محدودة تكون نهاية عملهِ فيها الحصول على الشهادة الدراسية وانهُ متى نال هذه الورقة السميكة التي سماها بعض ظرفاء الفرنساويين (جلد حمار) عُدَّ بالغاً في العلم والادب حد النهاية . ونحن على خلاف ما رأَوا نعتقد ان التربية لا تقوم بالمكث في المدرسة والحصول على الشهادة وانما كل ما يستفيدهُ الصبي من ذلك في ايام التحصيل الأُولى هو الاستعداد لتكميل عقلهِ وخلقهِ

ذلك لان الصبي في السنة الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمرهِ لا يعرف من العلم الاَّ نظريات عامة ومسائل كلية يحفظها في جمل مختصرة . ومهما كانت هذه القضايا علمية او

ادبية فلا قيمة لها الاَّ بظهورها في العمل وذلك يكون بالمشاهدات والتجارب التي تحدد دائرة تطبيقها والحد الذي يفصلها عن غيرها وتبين الاحوال التي تدخل فيها او تخرج عنها وجهات نفعها وضرها . وهذه التطبيقات هي الواسطة الوحيدة في فهم القواعد على حقيقتها فاذا انعدمت لا تكون هذه القواعد الاَّ الفاظاً وخيالات

وكذلك الحال في الآداب والاخلاق . اذ لا شيء على الانسان اسهل من ان يعلم مقدار الفائدة في ضبط شهواتهِ وقهرهِ نفسهُ ولكن لا شيء اصعب في العمل من ان يأتي ذلك بالفعل . لان قهر الانسان لهواهُ وجعلهُ تحت سلطان العقل يستدعي قوة عظيمة في الارادة . ولا توجد هذه القوة في الارادة باقامة الحوائل المادية بينهُ وبين النقائص ولا بمجرد حشو ذهنهِ بالقواعد الادبية وانما تتولد بالتعرض لملاقاة الحوادث والتعوُّد على مغالبتها والتغلب عليها

فمزاولة الاعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الامور ومخالطة الناس والاحتكاك بهم والتجارب كل هذه الاشياء هي منابع للعلم والآداب الصحيحة . بها ترتقي النفوس الكريمة حتى تبلغ اعلى الدرجات وامامها تنهزم النفوس الضعيفة وتسقط الى اسفل الدركات

والحجاب مانع للمرأة من ورود هذا المنبع النفيس لأن المرأة التي تعيش مسجونة في بيتها ولا تبصر العالم الاَّ من نوافذ الجدران او من بين استار العربة ولا تمشي الاَّ وهي كما قال الامير علي القاضي "ملتفة بكفن" لا يمكن ان تكون انساناً حيَّاً شاعراً خبيراً باحوال الناس قادراً على ان يعيش بينهم

ولا يكفي لاخراج المرأة المصرية من هذه الحياة الصناعية التي يشكو الكل منها ان تمكث بضع سنين في المدرسة ثم تنتقل منها الى بيت تحجب فيهِ بقية عمرها بل يلزم ان تستمرَّ في الاعتناء بجسمها وعقلها بعد المدرسة . يلزم ان نضع يدنا في يدها ونسير معها في الارض ونريها عجائب الكون ولطائف الصناعة ودقائق الفنون وآثار الزمن الغابر واختراعات الزمن الحاضر . يلزم ان تقاسمنا افكارنا وآمالنا وافراحنا وآلامنا وتحضر مجالسنا فتستفيد مما يعرض فيها من الاخلاق والافكار والمباحث وتفيدنا بحملنا على رعاية الحشمة والتأدب في القول

يقول معترض : " انا نراك تريد ان تحسن حال المرأة المصرية بحملها على تقليد المرأة الغربية فهلاَّ أعرت تمدننا القديم الذي كان من اصولهِ احتجاب النساء نظرةً وهل من نفوس كريمة يهزها ذكرى مجدها القديم فتلتفت الى اصولهِ لفتة علمية ترى انهُ هو المجد الصحيح الذي يجب ان نشد لهُ رواحل العزائم والذي سيتضح للعالم اجمع يوماً ما انهُ هو نفس الكمال الذي ينشدهُ الانسان ويلتمسهُ الوجدان "

هذا الاعتراض ربما يلذ للقارىء سماعهُ لطلاوة لفظهِ وربما ينجذب اليهِ لانهُ يحرك الميل الغريزي الموجود في كل انسان الى التعلق بآثار الآباء والاجداد . ولكن الاجدر بنا ان لا نجعل للنفظ تأثيراً فينا الى حد يذهلنا عن الحق. وعلينا ان نأخذ اهبتنا لمقاومة سلطة العادات الموروثة اذا خشينا ان تسلبنا ارادتنا واختيارنا . والتعلق بالتقاليد الراسخة لا يحتاج الى التحريض والترغيب لانهُ حالة لازمة للنفس آخذة بزمامها فهي مستغرقة فيها من ذاتها وانما الذي يحتاج للتشويق والتشجيع هو التخلص من ماضٍ ضارّ واعتناق مستقبل نافع

اذا امكننا ان نأخذ تلك الاهبة كان من اهمّ ما يجب علينا ان نلتفت الى التمدن الاسلامي القديم ونرجع اليهِ ولكن لا لننسج منهُ صورة ونحتذي مثال ما كان فيهِ سواءً بسواءٍ بل لكي نزن ذلك التمدن بميزان العقل ونتدبر في اسباب ارتقاء الامة الاسلامية واسباب انحطاطها ونستخلص من ذلك قاعدة يمكننا ان نقيم عليها بناءً ننتفع بهِ اليوم وفي ما يستقبل من الزمان

ظهر الدين الاسلامي في جزيرة العرب بين قومٍ كانوا يعيشون في حال البداوة اي في ادنى الحالات الاجتماعية فاوجد بينهم رابطة ملية واخضعهم الى رئيس واحد ووضع لهم شرعاً نسخ ما كان عندهم من العادات المتبعة في معاملاتهم من قديم الزمان . ولما امرهم بالجهاد اخذوا يحاربون الامم الاخرى واستولوا عليها ولم يكن ذلك بامتيازهم على من جاورهم من الامم في العلوم والصنائع ولكن كان بروح الوحدة التي بعثها الاسلام فيهم مع استعدادهم الفطري للقتال فلما اختلطوا بالمصريين والشاميين والفرس والصينيين والهنود وغيرهم وجدوا عند هؤلاء الامم كثيراً من العلوم والصنائع والفنون فاستفادوا منها ونقلوا معظمها الى لسانهم وسمحوا لاولئك المغلوبين ان يأتوا في ترقيتها بما شاؤوا . وظهرت عند ذلك نهضة علمية كما هو الشان في الامم عقب كل انقلاب يجري لغاية صالحة استمرَّت مدة اربعة قرون تقريباً

على هذين الاساسين شيدت المدنية الاسلامية . الاساس الديني الذي كوَّن من القبائل العربية امة واحدة خاضعة لحاكم واحد ولشرع واحد . والاساس العلمي الذي ارتقت بهِ عقول الامة الاسلامية وآدابها الى الحد الذي كان في استطاعتها ان تصل اليهِ في ذلك العهد

ولكن لما كان العلم في تلك الاوقات في اول نشأتهِ وكانت اصولهُ ضروباً من الظنون لا يؤيَّد اكثرها بشيء من التجارب كانت قوة العلم ضعيفة بجانب قوة الدين فتغلب الفقهاء على رجال العلم ووضعوهم تحت مراقبتهم وزجُّوا بانفسهم في المسائل العلمية وانتقدوها . وحيث انهم لم يأتوا اليها من بابها ولم يجهدوا انفسهم في فهمها اخذوا يؤولون الكتاب والاحاديث بتأويلات استنبطوا منها ادلة على فساد المذاهب العلمية وحملوا الناس على ان يسيئوا الظن بها وما زالوا

يطعنون على رجال العلم ويرمونهم بالزندقة والكفر حتى نفر الكل من دراسة العلم وهجروهُ، وانتهى بهم الحال الى الاعتقاد بان العلوم جميعها باطلة الاَّ العلوم الدينية . بل غالوا في دينهم وشطوا في رأْيهم حتى قالوا في العلوم الدينية نفسها انها لا بد ان تقف عند حد لا يجوز لاحد ان يتجاوزهُ . فقرروا ان ما وضعهُ بعض الفقهاء هو الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد ان يخالفهُ وكأَنهم رأَوا من قواعد الدين ان تُسدَّ ابواب فضل الله على اهلهِ اجمعين

هذا النزاع الذي قام بين اهل الدين واهل العلم ولا اقول بين الدين والعلم لم يكن خاصًّا بالامم الاسلامية بل وقع كذلك عند الامم الاوربية . ولكن لما كانت هذه الامم قد ورثت علوم اليونان والرومان والعرب وكان وصول تلك العلوم اليها قرب تمام تكوينها لم تحتج اوربا الى زمن طويل في اكتشاف الاصول الحقيقية لتلك العلوم . وقد نالت منها في مائتي سنة ما لم ينلهُ غيرها في آلاف من السنين . وتوالت الاكتشافات العلمية يجر بعضها بعضًا ويرشد بعضها الى بعض . فمنها اكتشاف قوانين سير الكون وتحليل الضوء وسرعة سيرهِ وكيفية تكوُّن الاصوات وسرعتها وشكل اهتزازاتها. وعلمت ماهية الحرارة وكيفية تكوُّن الكرة الارضية وحقيقة شكلها وتكون طبقات الارض وتقادم الاعصار عليها وعلى سكانها وضروب التغييرات التي طرأَت عليها والادوار التي تقلبت فيها من وقت ان كانت كتلة نارية الى ان ظهر فيها النوع الانساني بعد جميع الانواع الاخرى . ثم عرفت قوانين الحياة ووظائف الدورة الدموية والتنفس والهضم وخصائص قوى الادراك وكيف تتكوَّن خلايا الجسم وكيف تعيش وكيف تفنى . وصححت وكملت اصول الكيمياء والطبيعة

بكشف هذه الحقائق شيد العلم بناءً متينًا لا يمكن لعاقل ان يفكر في ان يهدمهُ . ولهذا تغلب رجال العلم على رجال الدين في اوربا بعد النزاع والجهاد وانتهى الحال بان صار للعلم سلطة يعترف لهُ بها الناس كافة

فاذا كان التمدن الاسلامي بدأَ وانتهى قبل ان يكشف الغطاء عن اصول العلوم كما بيَّنَّاهُ فكيف يمكن ان نعتقد ان هذا التمدن كان “نموذج الكمال البشري” يهمنا ان لا نبخس اسلافنا حقهم ولا ننقص من شأْنهم ولكن يهمنا مع ذلك ان لا نغش انفسنا بان نتخيَّل انهم وصلوا من التمدن الى غاية من الكمال ليس وراءها غاية

نحن طلاب حقيقة اذا عثرنا عليها جاهرنا بها مهما تألَّم القراء من سماعها . لذلك نرى من الواجب علينا ان نقول انهُ يجب على كل مسلم ان يدرس التمدن الاسلامي ويقف على ظواهرهِ وخفاياهُ لانهُ يحتوي على كثير من اصول حالتنا الحاضرة ويجب عليهِ ان يعجب بهِ لانهُ عمل

انتفعت بهِ الانسانية وكملت بهِ ما كان ناقصاً منها في بعض ادوارها ولكن كثيراً من ظواهر هذا التمدن لا يمكن ان يدخل في نظام معيشتنا الاجتماعية الحالية. اما من جهة العلوم فالامر ظاهر لما سبق بيانهُ . واما من جهة النظامات السياسية فلأَننا مهما دققنا البحث في التاريخ لا نجد عند اهل تلك العصور ما يستحق ان يسمى نظاماً فان شكل حكومتهم كان عبارة عن خليفة او سلطان غير مقيد يحكم بواسطة موظفين غير مقيدين فكان الحاكم وعمالهُ يجرون في ادارتهم على حسب ارادتهم فان كانوا صالحين رجعوا الى اصول العدالة بقدر الامكان وان كانوا غير ذلك خرجوا عن حدود العدالة وعاملوا الناس بالعسف ولم يكن في النظام ما يردهم الى اصول الشريعة

ربما يقال ان هذا الخليفة كان يولَّى بعد ان يبايعهُ افراد الامة وان هذا يدل على ان سلطة الخليفة مستمدة من الشعب الذي هو صاحب الامر . ونحن لا ننكر هذا ولكن هذه السلطة التي لا يتمتع بها الشعب الاَّ بعض دقائق هي سلطة لفظية . اما في الحقيقة فالخليفة هو وحدهُ صاحب الامر فهو الذي يعلن الحرب و يعقد الصلح ويقرّر الضرائب و يضع الاحكام ويدير مصالح الامة مستبداً برأيهِ ولا يرى من الواجب عليهِ ان يشرك احداً في امرهِ

ومن الغريب ان المسلمين في جميع ازمان تمدنهم لم يبلغوا مبلغ الامة اليونانية ولم يتوصلوا الى ما وصلت اليهِ الامة الرومانية من جهة وضع النظامات اللازمة لحفظ مصالح الامة وحريتها فقد كان لتلك الامم جمعيات نيابية ومجالس سياسية تشترك بها مع الحاكم في ادارة شؤُونها

واغرب من هذا ان امراءَ المسلمين وفقهاءَهم لم يفكروا في وضع قانون يبين الاعمال التي وجدوا انها تستحق العقاب و يحدد العقوبات عليها بل تركوا حق التعذير الى الحاكم يتصرَّف فيهِ كيف يشاءُ . مع ان بيان الجرائم وعقابها هو من اوليات اصول العدالة

ولست محتاجاً ان اقول انهم ما كانوا يعرفون شيئاً من العلوم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فان هذه العلوم حديثة العهد . واذا اراد مكابر ان يتحقق من ذلك فما عليهِ الاَّ ان يتصفح مقدمة ابن خلدون وهو الكتاب الفرد الذي وُضع في الاصول الاجتماعية عند المسلمين يرى ان الاصول التي اعتمد عليها لا يخلو معظمها من الخطإ ويندهش على الخصوص عند ما يرى ان هذا الكتاب الذي وُضع للبحث في المسائل الاجتماعية لم تذكر فيهِ كلمة واحدة في العائلة التي هي اساس كل هيئة اجتماعية

فاذا كانت حالتهم السياسية كما ترى فما الذي يطلب منا ان نستعيرهُ منها ؟

كذلك اذا نظرنا الى حالتهم العائلية نجد انها مجردة عن كل نظام حيث كان الرجل

يكتفي في عقد زواجهِ بان يكون امام شاهدين و يطلق زوجتهُ بلا سبب او باوهى الاسباب ويتزوج عدة نساء بدون مراعاة حدود الكتاب . كل ذلك كان واستمرَّ الي الآن على ما هو مشهور ولم يفكر احد من الحكام او الفقهاء في وضع نظام يمنع ضرر انحلال روابط العائلة . واقلُّ ما كان يلزمهم لرفع ذلك الخلل ان يقرّروا مثلاً ان ايقاع الطلاق وعقود الزواج والرجعة لا بد ان تكون امام مامور شرعي حتى لا تبقى هذه الشؤون موضعاً للريب ومحلاً للشبهة ومثاراً للنزاع والشقاق

اين هذه الفوضى من النظامات والقوانين التي وضعها الاوربيون لتأكيد روابط الزوجية وعلاقات الاهلية . بل اين هي من القوانين اليونانية والرومانية التي لم تغفل في جميع ادوارها عن اهمية العائلة وشأنها في الهيئة الاجتماعية ؟ فاي شيء من هذا يمكن ان يكون صالحاً لتحسين حالنا اليوم ؟

بقي علينا ان نلتفت الى التمدن الاسلامي من جهة الآداب . يعتقد اهل عصرنا ان المسلمين السابقين كانوا حائزين لجميع انواع "الكمالات الاخلاقية الصحيحة" وهو اعتقاد غير صحيح او على الاقل مبالغ فيهِ . اما من جهة اصول الأَدب فالمعلوم ان المسلمين لم يأْتوا العالم باصول جديدة . فقد سبق المسلمين امم كاليهود والنصارى والبوذيين والصينيين والمصريين وغيرهم وقد كانت تلك الامم تعرف تلك الاصول وضمنتها كتبها ونزلت على بعضها في وحي سماوي . واما من جهة عمل المسلمين على مقتضى تلك الاصول الادبية فالتاريخ يشهد ان كل عصر لا يخلو من الطيب والرديء والحسن والقبيح وقد وصلت الينا اخبار العرب مدونة في الكتب التاريخية والادبية فكشفت لنا الغطاء عن اخلاقهم ومعاملاتهم واطلعنا على شعرهم وامثالهم واغانيهم فما وجدنا زمناً من الازمان خالياً من الآداب الفاسدة والاخلاق الرذيلة والطبائع الدنيئة . رأينا الدولة العربية من بعد وفاة النبي صلى الله عليهِ وسلم الى آخر ايامها ممزقة بالمنازعات الداخلية الناشئة عن التباغض والحقد وحب الذات حتى في الاوقات التي كانت فيها الدولة مشتغلة باهم الحروب مع الامم الاخرى . رأينا احد اولاد علي رضي الله عنهُ تزوج باكثر من مائة امرأة حتى التجأ والدهُ ان ينصح الناس بان لا يزوجوهُ بناتهم . رأينا من الرجال من كان يعترض النساء في الطريق ويختلس النظر اليهنَّ من خروق الحائط . رأينا من امرائهم واعاظمهم من كان يشرب الخمر حتى لا يعي ما يقول في مجالس تحضرها الجواري وتطرب الحاضرين بنغمات الموسيقى . رأينا من شعرائهم من يستجدي العطايا و يمد يدهُ ملتمساً رزقهُ من فضلات الامراء والاغنياء ومنهم من يمدح نفسهُ و يثني عليها ويذهب في ذلك الى حدٍ ليس

بعدهُ الاَّ الجنون او يتغزل في ولد او يهجو خصمهُ بعبارات الفحش والفاظ الوقاحة التي يستحى من تصورها فضلاً عن التفوه بها . رأَينا من مؤَرخيهم من يزوّر في التاريخ ومن فقهائهم من يخترع الاحاديث و يضعها لغايتهِ الذاتية

فاي زمن من الازمان السابقة كان منزهًا عن العيوب حتى يصح ان يقال انهُ "نموذج الكمال البشري" الكمال البشري يجب ان لا نبحث عنهُ في الماضي بل ان اراد الله ان يمن بهِ على عبادهِ فلا يكون الاَّ في مستقبل بعيد جدًّا

متى تقرَّر ان المدنية الاسلامية القديمة هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتَّاب الذين وصفوها بما يحبون ان تكون عليهِ لا بما كانت في الحقيقة عليهِ وثبت انها كانت ناقصة من وجوه كثيرة فسيان عندنا بعد ذلك ان كان احتجاب المرأَة من اصولها او لم يكن . وسواءٌ صح ان النساء في ازمان خلافة بغداد او الاندلس كنَّ يحضرنَ مجالس الرجال او لم يصح فقد صح ان الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها في عصرنا

ونحن لا نستغرب ان المدنية الاسلامية اخطأَت في فهم طبيعة المرأَة وتقدير شأْنها فليس خطأُها في ذلك اكبر من خطإِها في كثير من الامور الاخرى

وغني عن البيان اننا عند كلامنا على المدنية الاسلامية لم نقصد الحكم عليها من جهة الدين بل من جهة العلوم والفنون والصنائع والآداب والعادات التي يكوّن مجموعها الحالة الاجتماعية التي اختصت بها. ذلك لان عامل الدين لم يكن وحدهُ المؤثر في وجود تلك الحالة الاجتماعية فهو على ما بهِ من قوة السلطان على الاخلاق لم ينتج الاَّ اثرًا مناسبًا لدرجة عقول وآداب الامم التي سبقت

والذي اراهُ ان تمسُّكنا بالماضي الى هذا الحد هو من الاهواء التي يجب ان ننهض جميعًا لمحاربتها لانهُ ميل يجرنا الى التدني والتقهقر . ولا يوجد سبب في بقاء هذا الميل في نفوسنا الاَّ شعورنا باننا ضعاف عاجزين عن انشاء حال خاصة بنا تليق بزماننا ويمكن ان تستقيم بها مصالحنا . فهو صورة من صور الاتكال على الغير كأَن كلاًّ منا يناجي نفسهُ قائلاً لها : اتركي الفكر والعمل والعناء واستريحي فليس في الامكان ان تأْتي بابدع مما كان

هذا هو الداءُ الذي يلزم ان نبادر الى علاجهِ . وليس لهُ من دواء الاَّ اننا نربي اولادنا على ان يتعرفوا شؤُون المدنية الغربية ويقفوا على اصولها وفروعها وآثارها واذا اتى هذا الحين ونرجو ان لا يكون بعيدًا انجلت الحقيقة امام اعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا انهُ من المستحيل ان يتم اصلاح ما في احوالنا اذا لم يكن مؤَسسًا على العلوم العصرية الحديثة وان احوال الانسان مهما اختلفت وسواءٌ كانت مادية او ادبية خاضعة لسلطة العلم . انتهى

شهادة من الهند

كان لما نشرناهُ من اقوال علماء الهند وقع عظيم عند قرَّاء المقتطف ولاسيما مقالة امير علي القاضي. ولا يزال الكتَّاب والخطباءُ يستشهدون بها لما حوت من الحقائق التي تجب اذاعتها في القطرين الشامي والمصري لشدَّة الحاجة اليها

وقد اطلعنا الآن على مقالة كتبها امير مستقلٌّ من امراء الهند نُشرت في مجلة القرن التاسع عشر وفيها من الحقائق ما لا بدَّ من اذاعتهِ في كل الاقطار الشرقية لكي يرى ملوكنا وامراؤُنا وعلماؤُنا وادباؤُنا ما يرتئيهِ ويقولهُ الملوك الذين انار العلم بصائرهم وعرفوا كيف تساس الرعية سياسة توردها موارد السعادة

والكاتب هو المهرجا غايكوار امير بارودا احدى امارات الهند المستقلَّة وقد كتب بالانكليزية لانهُ عالم بها متقن لها . وسنقتطف من مقالتهِ ما تمسُّ الحاجة الى معرفتهِ ويضطرنا الاختصار ان نتكلم عنهُ بضمير الغائب الاَّ حيث نترجم كلامهُ حرفيًّا

قال ان انحراف صحتهِ اضطرهُ ان يكثر السفر فقد رحل الى اوربا خمس مرات حتى الآن اقام فيها ثلاث سنوات ولكن اكثر اقامتهِ في قصرهِ الجديد في بارودا وقد انفق عليهِ مئتي الف جنيه . واقليم بارودا حارٌّ جدًّا لا يحتملهُ الذين يشتغلون اشغالاً عقلية شاقة فيضطر ان يخرج منها كل سنة ولو بضعة اشهر الى مكان معتدل الهواء . والناس في بلاد الهند يقصدون الاماكن الجبلية في فصل الصيف ولم يكونوا يفعلون ذلك قبل خمس عشرة سنة اما الآن فاكثروا من الاصطياف حتى يتعذَّر وجود البيوت الكافية للمصطافين . وليس في مملكة بارودا جبال فيضطر ان يمضي الى جبال حملايا او نلجرس مسافة ستة ايام

وهو يستيقظ الساعة السابعة صباحاً ويقوم بفروضهِ الدينية عن يد البراهمة ويأكل قليلاً من الخبز واللبن ويخرج للنزهة راكباً على جواد او في مركبتهِ ويعود فيطالع بعض كتب الفلسفة والتاريخ ولاسيما تاريخ اليونان والرومان ويفضل المؤَرخ جبون على غيرهِ ومن الكتب التي يحب المطالعة فيها كتب تكفيل ومل وفوست وسبنسر ولهُ غرام بشكسبير وبنثام في القوانين وماين في الشرائع القديمة . ويُستدَل من هذه الكتب وهؤُلاء المؤَلفين على انهُ مغرم بمطالعة اشهر الكتب الانكليزية في الفلسفة والسياسة والتاريخ. ويتغدَّى الساعة الحادية عشرة مع اولادهِ ومن يكون عندهُ من بطانتهِ وبعض الالوان اوربي وبعضها هندي ولا تقدَّم الخمر على مائدتهِ ولا شراب آخر مسكر ولا شيءٌ مما طبخ بلحم البقر لأَن شريعة البراهمة تحرّم ذلك .

ثم ينظر في اشغال مملكتهِ . وتقدَّم الاوراق اليهِ قبل النظر فيها بيومين او ثلاثة فيطَّلع عليها ويامر بما يشاءُ كتابةً ويمضي اسمهُ بيدهِ غير معتمد على الخاتم . وذكر مثالاً لذلك قال : " ان الاحكام بالقتل يحكم بها قضاة المديريات وترفع الى المحكمة العليا فان ايدتها رفع الوزير اوراقها اليَّ وكتب فيها رأيهُ ورأي وكيلهِ وهو من القضاة فاذا بقيتُ في ريب استشرت قضاةً آخرين لا اقلَّ من ثلاثة فيطالعون اوراق الدعوى كلها ويكتبون رأيهم في مذكرة يرفعونها اليَّ "

و يبقى مشتغلاً بمهام المملكة الى الساعة الرابعة او الخامسة فيمضي حينئذٍ الى حيث زوجتهُ وتلقَّب بالمهراني والدار التي هي فيها قسم من القصر خاص بها فيقيم هناك ساعة من الزمان ثم يخرج للنزهة راكباً في مركبة يحيط بها خمسة وعشرون من الرمَّاحة حتى اذا خرج من باب المدينة ابقى منهم خمسة فقط معهُ . واذا قدَّم اليهِ احد عريضة وهو خارج الى النزهة اخذها منهُ وامرهُ ان يحضر اليهِ في يوم مخصوص لينظر في ظلامتهِ . وهو يجري في ادارة الاحكام على النسق الانكليزي . وكلما ذكر زوجتهُ في هذه المقالة لقَّبها بذات السمو او سمو المهراني

وكثيرًا ما يجول في بلادهِ متخفياً ويقابل رؤساءَ العشائر والقرى ويذاكرهم لكي يقف على امورهم بنفسهِ . اما عن تعلمهِ الانكليزية وتعليم اولادهِ فقال ما ترجمتهُ

"لقد اقام اللورد نورثبروك المستر اليوت معلماً لي وعمري ثلاث عشرة سنة . ويسرني انني لم أُفصَل عن عائلتي ولا فُصِل بيني وبين شعبي . وانني انظر الآن الى الطريقة التي رُبيتُ بها فارى انهُ كان يمكن ان تغيَّر قليلاً فتكون انفع لي وكان يمكن ان تطال مدة تعلمي . ولقد احسن معلميَّ واوصيائي بتركي هنديًّا ولكن الزمان قد تغير فصار عليَّ ان اربي اولادي على اسلوب آخر ولذلك ارسلتهم الى افضل المدارس الانكليزية في اتُن وباليول ليتربوا احسن تربية انكليزية . وافضلُ دينٍ يدينون بهِ محبة وطنهم فاذا دانوا بهِ كانوا من خيرة رجال الهند . وقد يهملون حينئذٍ بعض العشائر الدينية الوطنية ولكنهم لا يهملون الواجب عليهم لبلادهم وشعبهم

ولقد كان لارتحالي الى اوربا فوائد جمة فزال من ذهن قومي ما كانوا يوجسون منهُ وهو ان الانكليز يبقونني اسيرًا عندهم . وزادت رغبة شعبي في ارسال اولادهم الى اوربا للتعلم فيها . وترى هذه الرغبة في كل طبقاتهم حتى ادناها . والخدم الذين جاؤُوا معي الى اوربا اول مرة يستاؤُون الآن اذا لم آتِ بهم . وهناك اناس يقتصدون في نفقاتهم اليومية ولو كان دخلهم لا يزيد على جنيه في الشهر لكي تتيسَّر لهم الرحلة الى اوربا . وقد اخذ كبار المزارعين يبعثون بابنائهم الى اوربا ليتعلموا فيها . وجعل الناس كلهم يفهمون فائدة السفر وانهُ خير واسطة لكسب المعارف كما قال كتَّاب الهنود القدماء . وعندي ان كل اتصال بالاوربيين

مفيد لتقدُّم الهند وكل ما يمنع هذا الاتصال يؤَخر نجاح البلاد . وقد حلَّ بالهند ضرر كبير في غابر الازمان من انفصالها عن سائر الممالك فجهِل الهنود ما بلغهُ غيرهم من الارتقاء في مراقي العمران . ولو استطعتُ لجعلت حكومة بلاد الهند كلها تبعث كل سنة خمس مئة تلميذ الى اوربا ليدرسوا فيها العلوم والفنون والصنائع وكنت اختار هؤُلاء التلامذة من نابغي الشبان ومن غيرهم لكي ينتشر العلم بين كل الطبقات والمذاهب . وعندي انهُ يحسن بامراءِ الهند ان يجالسوا الاوربيين في ولائمهم ولكن لا بدَّ من ان يؤَخذ ذلك بالحذر اولاً لئلاَّ يثور التعصب الديني عليهم . فمنذ عشر سنوات لم يكن يسهل عليَّ ان افعل ما افعلهُ الآن من غير ان اعرّض نفسي للانتقاد الشديد . اي ان الملوك انفسهم لا يسلمون عندنا من الانتقاد اذا خالفوا عادات قومهم ولكن الملك الذي يعرف كيف يقود شعبهُ لا يتعذَّر عليهِ ان يجعلهم يرضون عنهُ ويجارونهُ "

ثم انتقد افعال الوزراء الانكليز انتقاداً لطيفاً محكماً لا نظن الاَّ انهُ يأْتيهِ بفائدة كبيرة فان في بلادهِ وزيراً مقيماً من الانكليز فاذا غاب عنها سلَّم مقاليد الاحكام لوزيرهِ الوطني ولهذا الوزير المقيم فيحسن هذا الوزير التصرف او يسيئهُ حسب طبعهِ ويتعرَّض غالباً لامور لا يعنيهِ التعرُّض لها فيزيد الارتباك وتضعف سلطة المهرجا

وكانت زوجتهُ معهُ في سياحتهِ الاخيرة وزيارتهِ لمعرض باريس والظاهر انها جاءَت اوربا لكي تُعمَل لها عملية جراحية لم تجد طبيبة في بلاد الهند تعملها لها ولا ارادت ان يعملها طبيب . وقد كتب عنها ما ترجمتهُ

" تتمتع سموُّها هنا (اي في بلاد الانكليز) بحرية لا تتمتَّع بها في بارودا (اسم مملكتهِ) فانها تعيش هنا مثل غيرها من النساء الغنيات الشريفات اما في بلادنا فتتحجَّب حسب العادات التي اقتبسناها من المسلمين . فتقوم هناك باكرًا وتقرأُ الجرائد الانكليزية والهندية الى وقت الغداء وتتغدَّى مع اولادها ثم تمشي ساعةً او ساعتين في حديقة القصر حيث لا يراها احد من الرجال . ومن رأْي سموها ان عادة الحجاب رديئة ولكنها تقول انهُ لا يستطيع احد ان يرفع الحجاب من بلاد الهند فى الوقت الحاضر . وكثيرات من النساء يرغبن مثل سموها في رفع الحجاب ولكن الفريق الاكبر من الرجال غير المتعلمين لا يرون ذلك ولا يرغبون فيهِ ولا في تعليم النساء . اما نحن فمقتنعان بفائدة التعليم للنساء ولذلك عزمنا ان نعلم ابنتنا الوحيدة كما نعلم ابناءَنا لان الامرأَة المتعلمة اقدر من غير المتعلمة على إسعاد اهل بيتها وتثقيف عقولهم . ولسموها اهتمام شديد بتعليم النساء وهي لا تحسب انهُ يمكن ان يكون للمرأَة في بلاد

الهند كل الحرية التي لها في اوربا ولا تظن ذلك صالحاً لها لان مقياس الحشمة رفيع جدًّا في البلاد الشرقية حتى لو لم يوجد الحجاب لبقي شيءٌ من الانفصال بين الرجال والنساء . ومع ذلك فالحجاب عندنا خاص بالطبقات العليا اما نساء الفقراء فلا يتحجبنَ

وقد رأيت في اوربا اموراً كثيرة يحسن بي اقتباسها في بلادي كالتعليم الاجباري والاستقلال الاداري في الولايات وهذا استحسنهُ جدًّا وهو مثل النظام القديم الذي كان متبعاً في بلاد الهند حين كان اساس الادارة ان يدير اهل كل بلد شؤُونهم بانفسهم . ولا اوفي الحكومة الانكليزية حقها مهما مدحتها لانها اعطت الاستقلال الاداري لاستراليا وهذا امر كنا نترقبهُ في بلاد الهند كما يترقبهُ غيرنا في سائر السلطنة الانكليزية

ولقد ادهشني ما رأيتهُ في اوربا من اهتمام افراد الناس من غير الحكام بمصالح البلاد ومساعدة الفقراء ولكن يتعذر عليَّ ان اقابل بينهم وبين اهل الهند لان ليس عندنا جمهور كبير من الاغنياء المتعلمين المتهذبين من اهل الفراغ والجدة . وعندي ان ما يمتاز بهِ الانكليز من كرم الاخلاق والعزم والحزم هو نتيجة لازمة عن سمو تهذيبهم ونظام حكومتهم التي تقوي فيهم روح الاستقلال . ولا اقول ان هذا معدوم من بلاد الهند ولكني اقول انهُ يتعذر ظهورهُ ونموهُ في الاحوال الحاضرة

ومن شاء ان يعيش عزيزاً كريماً في بلاد الهند يترتب عليهِ ان لا يحاول الترفُّع على غيرهِ لان من يفُقْ غيرهُ عقلاً وذكاء يكرههُ الناس ويظنون بهِ الظنون . ولا يمهر الناس في السياسة والقيادة ما لم يروا امامهم ميداناً واسعاً لاستعمال مهارتهم . ويتعذَّر على اكثر الناس عندنا ان يميزوا بين الصواب والخطاء لطول ما حلَّ بهم من الجهل والفقر والاستعباد وليس عندنا احد يستطيع الانتقاد بالعلم والسداد مع ان هذا الانتقاد لازم لكل ارتقاء وطني. واود ان أُكثِر المدارس التجارية والصناعية في بلادي وسائر المدارس العليا التي يتهذب فيها شبان البلاد"

وقد جرى سموهُ احياناً مجرى البساطة التامَّة في ما رواهُ عن نفسهِ واعمالهِ حتى لقد يود القارئ لو كُتبت بعض الامور بقلم غيرهِ عنهُ كقولهِ اني تصدقتُ بكذا وكذا وتصدَّقت زوجتي بكذا . ولكننا اذا اطَّرحنا المألوف من الحشمة الكاذبة لا نجد فرقاً بين من يتكلم عن نفسهِ اذا صدق ومن يلقّن غيرهُ الكلام عنهُ بل الاول اقرب الى الصواب من الثاني لانهُ يخشى المبالغة واما الثاني فتضطرهُ المجاملة الى اطراء مَن يذكر حسناتهِ والمبالغة فيها ولا سيما اذا كان ملكاً . وتتدفق البلاغة من قلمهِ تدفُّقاً في اماكن كثيرة وهو يكتب بلغة غير لغتهِ الاصلية مما يدلُّ على وافر علمهِ وواسع فضلهِ . وسقياً لبلاد ملوكها علماء

رواية امينة

تمهيد

لمؤلفي الروايات اسلوبان مشهوران الاول الاعتماد على ذكر الغرائب التي يتوهم العامَّة وقوعها ولو ثبت عند الخاصة انها ضربٌ من المحال كما في قصص الجان والغيلان والطلاسم والرُقى ومن هذا القبيل قصة الف ليلة وليلة وكثير من الروايات الاوربية القديمة وهي تفكه القارئ غالبًا ولكنها لا تفيدهُ الاَّ بما يتخللها من تحسين الفضيلة والحث عليها وتقبيح الرذيلة والنهي عنها . وقد شاع هذا الاسلوب في السنين الغابرة ثم رغب الناس عنهُ اخيرًا لانهم صاروا من طلاَّب الحقائق ولم تعُد تلذُّ لهم الاوهام التي يتسلى بها الصغار

والثاني ذكر الحوادث التي حدثت او يكون حدوثها ممكنًا وهو على ضربين ضرب يتوخَّى فيهِ كاتبهُ ذكر الحوادث الماضية والثاني ذكر الحوادث الحاضرة . اما الاول فيضطر صاحبهُ ان يحرّف التاريخ ويحوّرهُ لكي يطابق غرضهُ ويوافق الاسلوب الذي اختارهُ لروايتهِ فلا ترسخ في الذهن قضية تاريخية مما ذكرهُ الاَّ وهي محرَّفة او مشوبة بامور كثيرة لا صحة لها فتصير الذاكرة تخلط بين الحقيقة والوهم وبين المنقول والموضوع . وقد شاع هذا الاسلوب كثيرًا منذ اوائل القرن الماضي ولكن عدل عنهُ اكثر الكتّاب حديثًا لانهم وجدوا ضررهُ في تشويش الحوادث التاريخية اكثر من نفعهِ في ذكرها . والضرب الثاني وهو ذكر الحوادث الحاضرة كما هي استدراجًا الى ذكر العادات والاخلاق واستحسان الحسن منها واستهجان القبيح حديث اشتهر بهِ كثيرون من نوابغ الكتاب مثل تولستوي بالروسية وكبلنغ بالانكليزية وزولا بالفرنسوية

وبينما نحن نفكر في وضع رواية من هذا النوع الاخير اشار علينا من اشارتهُ حكم ان نترجم رواية اميرة شرقية وضعتها باللغة الانكليزية وشرحت فيها احوال اهالي الاستانة في هذا العصر وقد اشرنا الى هذه الرواية حين صدورها وطالبنا كثيرون بنقلها الى العربية فرأينا ان نلبي الطلب الآن غير مقيدين بما كتبتهُ المؤلفة بل متصرفين فيهِ حسب مقتضى الحال

الفصل الاول

لا ازال اتذكَّر اول يوم بلغتُ فيهِ الاستانة ونزلتُ الى البر وسمعتُ اصوات الناس وطقطقة المركبات وصفير السفن البخارية ونداء السقائين فاني لم اكن معتادةً سماع شيءٍ من ذلك في القرية التي ربيت بها في بر الاناطول وخُيل لي ان القيامة قامت على ما كان يقصهُ علينا معلم

المدرسة . وكان البرد شديدًا لاننا كنا في بداءة فصل الشتاء ووقع المطر فبلل ثيابي وخرق الى عظمي فدنوت من محمود وسأَلتهُ قائلة الى اين نحن ذاهبون فقال الى بيت جدتك . ولما رأى انهُ يتعذَّر عليَّ المشي حملني على ظهرهِ وسار بي نحو ايا صوفيا

وذهلت عن نفسي بما رأيت من المناظر التي لم تقع عليها عيني من قبلُ فمن دكاكين مملوءة ثمارًا وفاكهة ومن مخازن مشحونة بالثياب والاقمشة ومن قصور كبيرة شاهقة . وقد علمتُ بعد ذلك ان الاستانة من المدن القديمة القذرة وان في اوربا مدنًا كثيرة احدث منها وانظف ولكنني حسبتها حينئذٍ فردوس النعيم

ثم قال لي محمود اننا قربنا من بيت جدتكِ فخفق فؤادي وتجدَّدت مخاوفي وكان ابي قد توفي حديثًا وهو حدَّاد فقير من اهالي الاناطول ولم يترك لي شيئًا . وقبل ان اسلم روحهُ تذكر ان حماتهُ لا تزال في قيد الحياة ولم يكن قد رآها بعد ان اخذ ابنتها واتى بها الى تلك القرية حيث ماتت بالفقر والحاجة فطلب من الفقيه معلم الاولاد ان يكتب لها كتابًا ويطلب منها ان تأخذني لاقيم عندها وعنون الكتاب الى بيت الباشا الذي كانت عندهُ مرضعًا لاولادهِ . ومضت اربعة اشهر قبلما جاء الجواب منها وكان ابي قد مات واخذني جارنا الى بيتهِ واخيرًا جاء رجل الى قريتنا قال انهُ رسول من فاطمة هانم وهو اسم جدتي ولما بلغني ذلك اسرعت لاراهُ فوجدت انهُ شيخ كبير السن شائب الشعر بشوش الوجه وسمعتهُ يقول

” مضى عليها زمان طويل في بيت الباشا وهي متكبرة على نوع ما ولكن قلبها طيب ولما وصلها مكتوب صهرها اخذت تبحث عن رجل يحضر لها بنت بنتها وبلغها انني آتٍ الى قونية لاشغال لي فيها فطلبت مني ان آتيها بها في رجوعي . وقد تأَخرت في قونية اكثر مما كنت اظن “. ثم التفت اليَّ وقال اهذه هي البنت. فقيل لهُ نعم فقال ” تعالي يا بنتي “ ومسكني بيدي ونظر في وجهي طويلاً وقال لا بد انكِ تعجبينها مع انهُ لا يعجبها احد . واخذ يتكلم على هذا النسق حتى خوَّفني منها وصرتُ أَتمنى ان ابقى حيث كنت . وقام في اليوم التالي وجاء بي ولم يحدث في اثناء الطريق ما اخَّرنا عن الوصول . واخيرًا وصلنا الى بيتها ووقفنا امام بابها وانا اتمنى ان لا تكون في البيت ولكن خاب أَملي لما فُتح الباب واتت خادمة وسارت بنا الى الطبقة العليا وادخلتنا غرفة فيها مقعدان وبساط وعلى احد المقعدين عجوز على رأْسها منديل ابيض فلما دخلنا نهضت وسلمت على محمود ونظرت اليَّ وقالت أَهذه هي البنت . وضمتني الى صدرها وجعلت تبكي

ثم التفتت الى الرجل وقالت لهُ ” لا تضحك عليَّ لانني امرأَة عجوز وقد مات اولادي كلهم

ولم يبقَ لي الاَّ هذه البنت وهي مثل امها تماماً واراها الآن كأني ارى امها"

وكان عمري حينئذٍ اثنتي عشرة سنة وكنتُ شديدة الشعور بمصاب الغير فلما سمعتها تقول هذا الكلام وضعتُ ذراعيَّ حول عنقها وجعلت اقبلها وابكي فضمتني الى صدرها ثانيةً وقالت ستحبينني كما احبكِ. ثم التفتت الى محمود وقالت لهُ تفضَّل اجلس يامحمود اغا لكي تشرب فنجان قهوة. وناولتني سيجارة وقالت لي قدميها لهُ يا امينة. ونهضتْ وحركت النار في المنقل ووضعت غلاَّية القهوة عليها والتفتت اليهِ وقالت لهُ كلهم بخير في بيتكم وقد كنت عندكم امس وجاء مكتوب من ابنك يقول فيهِ ان معلمهُ الجديد مسرور بهِ

فقال بلا شك لانهُ في بيت صهرهِ

فقالت نعم وقد احسنت بارسالهِ اليهِ وصهرك من احسن الناس

فقال نعم الحق بيدك وكيف حال نصرالله باشا واولادهِ

فقالت كلهم بخير ولكن نافذ بك مضى الى الاناطول

فقال هذا مثل ولدك لانك ارضعتهِ

فنظرت اليهِ باسمةً وقالت نعم وهو من احسن الشبان وقد صار عمرهُ الآن ثلاثاً وعشرين سنة واخوهُ البكر ادهم بك صار عمرهُ ثلاثاً وثلاثين سنة وهو اول ولد ارضعتهُ. ولما تزوجت ابنتهم الصغرى وحيدة هانم سمحوا لي ان اسكن وحدي هنا. لما كان زوجي حيًّا كنت اقول انهُ حالما يكبر نافذ بك ويمضي الى الكتَّاب اتركهم واقيم في بيتي ولكن لما مات زوجي وتزوجت بنتي وتوظف ابني في مركب من مراكب العزيزية طلبوا مني ان ابقى في بيتهم فبقيت ثم لما صار عمر نافذ بك خمس عشرة سنة طلبتُ منهم ان يسمحوا لي ان اعود الى بيتي واعتني بابني لكن واحسرتاه مات ابني تلك السنة

فقال محمود بعد ان شرب القهوة نعم ولكني اراكِ تقيمين في بيت الباشا اكثر مما تقيمين هنا

فقالت نعم ولو اردت لبقيت عندهم دائماً ولكنني صرت عجوزاً وافضل ان ابقى وحدي في بيتي

وكانا يتكلمان وانا اسمع وقد ارتفعت منزلة جدتي في عينيَّ لما رأيت انها كانت في بيت باشا وانهم يكرمونها ويعزُّونها. وكانت تتكلم كلاماً فصيحاً وتشير اشارات الكبراء ورأيت انها تفوق كل النساء اللواتي عرفتهنَّ من قبلُ

ونساء العامَّة في الاستانة لسنَ متعلمات اكثر من نساء القرى في بر الاناطول ولم تكن جدتي تعرف القراءة ولكن اتصالها بالطبقة العليا من الناس زماناً طويلاً هذَّب اخلاقها وجعلها تتكلم وتتصرَّف مثل افراد تلك الطبقة

ثم قالت " ساآخذ امينة غدًا الى بيت الباشا لان الهانم سأَلت عنها مرارًا فترى كم تشبه امها " . ونهض محمود ليذهب فقالت لهُ على مَ انت مستعجل فقال لانني لم اذهب الى بيتي حتى الآن . فشكرتهُ على فضلهِ وودعنا وخرج . وقمت الى الشباك واطللت منهُ على الشارع الذي تحتهُ فاذا هو ضيق منعطف ثم رأَيت الرجل يقرع بابًا فيهِ فاذا بيتهُ بقرب بيت جدتي. ودنت جدتي مني وقالت لي لم اسمع كلامكِ حتى الآن تعالي اخبريني ما تعلمينهُ عن ابيكِ وامكِ . فجلست الى جانبها وجعلتُ اقص عليها كل ما اتذكرهُ وكيف لدغت افعى امي وهي تنزع الاعشاب من البستان وكيف كان ابي يتعب النهار كلهُ فلا يكاد يحصل القوت الضروري

فقالت يا مسكين كان يحب امكِ كثيرًا ولكن لماذا لم يرسلكِ اليَّ قبل الآن . وقد عرض عليهِ الباشا ان يفتح لهُ دكانًا في غلطه هنا فلم يقبل لانهُ يفضل عيشة الجبال على عيشة المدن . ولم اكن اريد ان تذهب امكِ معهُ ولكنها كانت عنيدة وتخاصمنا ومضت مع زوجها ثم ندمتُ على ما فرط مني وكتبت اليها فلم يجبني احد ولا كنت اعرف اين انتم ومنذ سنتين اتاني مكتوب من ابيكِ ينعيها اليَّ ولكنهُ لم يذكر لي كلمة عنكِ

فقلت لها ان ابي كان يحبني لانني اشبه امي ولم يكن يريد ان يفارقني. فقالت نعم انك تشبهينها تمامًا عيناك زرقاوان مثل عينيها وشعركِ اشقر مثل شعرها . وسترين اني احبكِ كما كان يحبكِ

ولقد صدقت في قولها لانها على شكاسة طبعها لم ارَ منها الاَّ كل حب وكل دعة . وذهبنا الى بيت الباشا وكنا نقيم فيهِ احيانًا شهرًا او اكثر . والباشا رجل جليل القدر عظيم الشأن اعتزل المناصب العالية في كهولتهِ لانهُ يفضل الراحة على تعب البال وبقيت كلمتهُ مسموعة في دوائر الحكومة فحصَّل المناصب العالية لاولادهِ واصهارهِ . وكانت زوجتهُ على جانب كبير من الكبَر والعظمة كثيرة الكرم شديدة الانتقام اذا رأَت من احد حسنة جازتهُ عليها احسن جزاءٍ واذا رأَت من احد سيئة انتقمت منهُ اشد الانتقام . وهي تركية الاصل عرفت كيف تتسلط على زوجها حتى لم يتزوج ضرَّة عليها. وكانت شديدة النباهة يخشاها كل اهل البيت حتى اولادها وهم يطيعونها طاعة عمياء . ولا تزال صورتها نصب عينيَّ حتى الآن طويلة القامة نحيفة الجسم جميلة المنظر حادَّة البصر تنظر اليك فتظن انها تقرأُ اعماق قلبك. تلبس لبسًا بسيطًا جدًّا وتربط رأسها بمنديل ابيض تمكنهُ بدبوس من الماس ولا تتحلى بحلى غيرهُ. لم تعاملني بالقسوة ولكنني كنت اخاف منها كثيرًا ولا استطيع الكلام في حضرتها . وابنها البكر ادهم بك مثلها سكوت كثير الاشتغال واما ابنتها الصغرى واسمها وحيدة فكانت غاية في الانس والبشاشة

وكانت هي وزوجها في بيت ابيها وعمرها عشرون سنة بعينين سوداوين ومحيا طلق وقد احببتها حالما وقع نظري عليها ويظهر لي انها هي احبتني ايضاً وقد اهتمت بتعليمي في مدرسة قريبة من بيت ابيها وعلمتني التطريز بيدها . وكان للباشا ابنة اخرى كانت حينئذٍ غائبة مع زوجها . اما الابن الاصغر نافذ بك فكان في الاناطول مع الايه والظاهر انهُ محبوب جداً من كل اهل البيت حتى ان ادهم بك كان يتبسم كلما ذكر اسم اخيهِ مع انهُ كان عابساً في غالب الاحيان وزوجتهُ واسمها وليَّة هانم كانت تذكر اسم نافذ بك دواماً وتقول انهُ روح البيت ومنذ غاب فقدوا كل بهجة (وهي امرأة بشوشة الوجه انيسة المحضر اقترن بها ادهم بك وعمرها اربع عشرة سنة ولها الآن ثلاثة اولاد مع ان عمرها تسع عشرة سنة فقط). واذا ذكرتهُ امهُ لم تخفِ حبها لهُ وعجبها بهِ وكذلك الجواري كنَّ يحلفن باسمهِ حتى صرت اودُّ ان اراهُ ولكن مضت خمس سنوات قبلما عاد الالاي الذي هو فيهِ

وليس من غرضي ان اسرد تاريخ حياتي كلها بل تاريخ مدة محدودة منها ولذلك لا اتكلم شيئاً عن هذه السنوات الخمس بل اتخطاها الى شهر مارس من السنة الخامسة منها فانهُ في ذلك الشهر اصابتني مصيبة لا اشد منها وهي ان جدتي مرضت مرضاً شديداً واضطرت ان تعود الى بيتها واعود انا معها وقالت لي حينئذٍ انها تحب بيت الباشا كثيراً ولكنها لا تريد ان تخرج جنازتها منهُ كانها جارية من جواريهِ بل تود ان تموت في بيتها . ولما رأت الدموع في عينيَّ قالت لي لا تبكي يا حبيبتي فان الله كريم ولا بدَّ من ان يأخذكِ الباشا الى بيتهِ ولا يتركك وحدكِ . ولما رأت الدموع زادت هطولاً من عينيَّ وخنقتني الزفرات قالت لي ما ادرانا ان الله لا يمن عليَّ بالشفاء وانا لا اعتقد بهؤلاء الاطباء ولكنني اعتقد بانسان حكيم اسمهُ الشيخ موسى فاذهبي الى بيت جارنا محمود وقولي لزوجتهِ حميدة لتدلكِ على بيت هذا الشيخ فان كان الله كتب لي الحياة فلا بدَّ من ان اشفى على يدهِ

فسررت بذلك لانني طالما سمعت ان المشايخ الصلاَّح يشفون كل من كتب لهُ الله الشفاء واما من سقطت ورقتهُ من شجرة الحياة فلا يشفيهِ الاطباء ولا الصلاَّح . والشيخ يعرف ذلك فاذا كان لا امل بالشفاء لا يقبل مني نقوداً . فمضت حميدة معي الى بيت الشيخ ولاقتنا زوجتهُ عند الباب وسارت بنا اليهِ فرأيناهُ جالساً على حصير والسبحة في يدهِ فلم يلتفت الينا فقالت لي حميدة ان اعطيهُ الدراهم التي اتيتهُ بها فاعطيتها لزوجتهِ فوضعتها تحت طرف الحصير وللحال رفع رأسهُ وقال "كبرنا في السن ولكن الشجرة لا تقع حالما تصيبها الفاس قم يا عبدي وانا اقوم معك"

فلم افهم شيئًا مما قال ولكن حميدة اسرَّت في اذني قائلة ان جدتك ستشفى ثم قالت لهُ ماذا تأمرنا ان نعمل لها فقال ايتوني بمنديلها وليرتين

فسرَّت حميدة بذلك ووضعت لهُ غرشًا تحت الحصير وطلبت منهُ ان يخبرنا عن بختي فقال "هذه وردة مزهرة ولكن ستعصف بها الرياح" وعاد الى سبحتهِ ولم يلتفت الينا فعدنا من حيث اتينا وانا افكر في كلامهِ ولا افقه لهُ معنى وكان عمري حينئذٍ سبع عشرة سنة وكنت انظر الى المستقبل نظر من تنتظر السعادة فيهِ لكن كلامهُ لم يكن حسب انتظاري . ولما اخبرنا جدتي بما قال هزَّت رأسها ولم تقل شيئًا ولكنها بقيت النهار كلهُ تنظر اليَّ . وارسلنا اليهِ المنديل والدراهم التي طلبها فجاء الينا بنفسهِ ونفخ في وجه جدتي واعطانا بخورًا نحرق منهُ كل ليلة قبل الغروب وقنينة فيها شيءٌ كعطر الورد فاعطتهُ جدتي خمس ليرات وليرتين اخريين لكي يكتب لي حجابًا من العين

ولم ينجع العلاج في جدتي واشتدَّ المرض عليها مدة ثلاثة ايام حتى لم تذق طعم الراحة ثم صلحت حالها قليلاً واتت حميدة لعيادتها فطلبت مني ان امضي وانام في غرفة مجاورة لغرفتها فمضيت ولكن انشغال بالي عليها حرم جفني النوم وبينما انا اطلب من الله ان يمن عليها بالشفاء سمعت حميدة تذكر اسمي فانتبهت واذا هي تقول ان كلام الشيخ موسى عن امينة مستغرب جدًّا ولا اعلم ما هو مرادهُ

فقالت جدتي يا ولدي الله يكون معها ويقيها ولولا يقيني ان الهانم تأخذها الى السراي لكنت اموت في اشد القلق

فقالت لها حميدة انكِ غير فقيرة وستتركين لها ما يكفي لاعالتها

فقالت نعم ولكن المال وحدهُ لا يكفي ولاسيما لمن كانت صغيرة وحيدة مثلها

فقالت حميدة لا تظني انها تكون وحيدة فانهُ ما دمت انا وزوجي في قيد الحياة فنحن نعتني بها وان شئتِ فعندنا من يعتني بها بعدنا

ثم سمعتها ادنت كرسيها من سرير جدتي وقالت لها ان امينة جميلة المنظر وحسنة الطباع ولا تستنكف من الشغل اعطيها لابني وسيكون هنا بعد اسبوع على الاكثر وهو الآن في بورصة وقد وعدهُ صهري ان يورثهُ بيتهُ لان ليس لهُ ولد وانا احبها مثل بنتي وزوجي يحبها ويعبدها عبادة

فلم تجبها جدتي في اول الامر مع انني انتظرت جوابها بقلب خافق واخيرًا سمعتها تقول كل شيءٍ بقضاءٍ وقدر ولا يمكن ان احكم قبلما ارى داود فاني لم ارهُ منذ خمس سنوات فلا يمكنني

ان اجيبك الآن لا سلبًا ولا ايجابًا . حينما يأتي ارسليهِ اليَّ وان كان لم يزل كما اعهدهُ فلا مانع عندي وعسى ان ابقى حية لارى عرسهما

فقالت حميدة ان شاء الله وداود شاب مجتهد جدًّا ولا بد من ان يعجبك

فلم تجاوبها جدتي لانهُ اصابتها نوبة سعال وقمت لاعطيها دواءً مسكتًا وانقطع الحديث . لكنني بقيت افكّر فيهِ ذلك اليوم واليوم التالي وانا عالمة انني لا اقدر ان احل ولا اربط بل الذي تقررهُ جدتي التزم ان اقبل بهِ مهما كان الامر هامًّا عندي . وكثيرًا ما كنت اطلُّ من الشباك والتفت الى بيت جارنا لعلي ارى هذا الشاب ولكن مضت ستة ايام ولم يحضر واشتدَّ المرض على جدتي فصرفت هذا الموضوع من ذهني . وفي اليوم السابع سمعت دقًّا على الباب فقالت لي جدتي "افتحي يا حبيبتي لابدَّ من ان يكون هذا واحدًا من السراي" وكان خدَم الباشا يأتون كل يوم لعيادتها فقمت وشددت بالحبل الذي يفتح الباب وقلبي يخفق حاسبةً اني ارى امامي ابن جارتنا ولما سمعت وقع الخطى على السلم رجعت وقلت لجدتي انهُ رجل فقالت هذا داود لقد احسن بمجيئهِ الآن اتركيني وحدي معهُ . فدرت لاخرج قبل دخولهِ واذا انا بشاب لابس لبس ضباط الجيش وللحال انهضت جدتي رأسها وصرخت " نافذ بك ابني حبيبي الله يحفظك " ثم وضعت يديها حول عنقهِ وقبلتهُ

فجلس بجانب سريرها وقال لقد رجعتُ امس ولما اخبروني انكِ مريضة قلت ان اول واجب عليَّ هو ان اراكِ

فقالت " الله يحفظك يا حبيبي الله يكون معك لقد غمرتني بمعروفك لانك اتيت لاراك قبل موتي "

فقال " بعد عمر طويل يا دادتي (١) ان شاء الله ترضعين اولادي كما ارضعتني . اهذه ابنة بنتكِ التي اخبرتني عنها امي "

اما انا فكنت واقفةً كالصنم انظر اليهِ واعجب من لطفهِ وتنازلهِ الى هذا الحد . وكان يتكلَّم باشًّا مسرورًا كأنهُ لم يفعل شيئًا غير عادي بمجيئهِ الى هذا البيت الحقير . وعجبتُ من شدَّة مشابهتهِ لابيهِ فانهُ كان مثلهُ اشهل العينين خفيف العارضين واسع الفم عريض الذقن واضح المحيا

والتفتت جدتي اليَّ وقالت لي تعالي يا امينة وقبلي يد ابن سيدنا

فدنوت منهُ وانا مطرقة الى الارض خجلاً . فنظر اليَّ مليًّا وقال ما اجملها ولم يشأ ان يعطيني يدهُ لاقبلها بل قال نحن اصحاب يا امينة لاننا كلينا اولاد الدادا . والتفت الى جدتي

---

(١) الدادا كلمة تركية مستعملة في مصر معناها المرضع

وقال ان امينة ملكت قلوب الكل في البيت فان وحيدة ووليةوامي يتكلمن عنها بالمدح والاطراء حتى ادهم نفسهُ يذكرها بالمدح

فاستغربتُ كلامهُ جدًّا ولا سيما ما قالهُ عن ادهم بك لانني كنت اراهُ مشغولاً جدًّا لا يلتفت الى احد ولم يخطر ببالي حينئذٍ انهُ يكون اكبر عضد لي في وقت الضيق

فتبسمت جدتي وقالت الله يسعدهم لقد غمرونا كلهم بمعروفهم . ولكن هات اخبرني عنك يا حبيبي كيف كان حالك في الاناطول وماذا كنت تفعل هناك

فضحك وقال لم اكن افعل شيئًا لا انا ولا الحامية كلها بل كانت عيشتنا كلها كسلاً بكسل في تلك القلعة ولذلك كنت اتمنى دائمًا ان اعود الى البيت . وقد طفنا في كل بلاد الاناطول وقابلت عزَّت باشا وقد صار واليًا بدل ابيهِ بمساعي ابي

فقالت جدتي وهل رأيت سنيَّة هانم

فقال كلاَّ لان صهري لم يعين للولاية الاَّ بعد رجوعي . والآن لا بدَّ لي من الذهاب الى السر عسكرية وسأُعين هناك قريبًا

فقالت جدتي أَصحيح ذلك هذا خبر يسرني جدًّا

فقال نعم لان العيشة في القلاع موت احمر . ثم ودَّعها وقام ليخرج وتبعتهُ لاشيعهُ الى الباب حتى اذا وصل الى اعلى السلم قلت لهُ عن غير قصد اتظن حقيقة ان لا خطر على جدتي او قلتُ ذلك لكي تسكن روعها

فنظر اليَّ صامتًا ووضع يدهُ على رأْسي وكأَن لسان حالهِ يقول لا امل بشفائها ففهمت مرادهُ من غير ان يفصح عنهُ بالكلام ولما خرج دخلت الى غرفتي وانطرحت على الارض وجعلت ابكي من كبدٍ حرَّى

وتكلمت جدتي كثيرًا تلك الليلة عن نصر الله باشا وعائلتهِ واخبرتني ان اباها كان قايقجيًّا لعائلة هانم افندي وزوجها كان قايقجيًّا ايضًا ولما ولد ولدها الاول عرضت عليها هانم افندي ان ترضع اولادها فاقامت عندها من ذلك الحين. ثم طلبت مني ان اعدها باني لا اخالف امرًا لهانم افندي مطلقًا فوعدتها بذلك وانا ابكي واذرف العبرات فقبلتني وقالت لي لقد حان الاجل بابنتي ولا بدَّ من ان تعلمي ما هي وصيتي الاخيرة لكِ . اذهبي الى السراي وابقي هناك وهانم افندي تهتمُّ بك وبمستقبلكِ وما دمتِ تحت حمايتها فأَنتِ بمأمن من كل ضيم ولكن يجب ان لا تغيظيها بشيءٍ . اواه كم اود ان يحضر داود الآن قبل وفاتي لانني لا استطيع ان اسلم بطلب امهِ ما لم انظرهُ بعيني

وصمتت برهةً ثم قالت ” اني اشعر بتعب شديد يا امينة فنادي لي حميدة لتبقى معي الليلة

فخرجتُ وارسلت اطلب حميدة ولما حضرتْ كان لسان جدتي قد انعقد عن الكلام وقبل الصباح اسلمت الروح فعدتُ يتيمة كما كنتُ

ويتعذَّر عليَّ ان اصف ما حلَّ بي حينئذٍ فان موتها وقع عليَّ كصاعقة من السماء لكني تجلدتُ قليلاً ونهضت لعلي افعل شيئاً مما يلزم لغسلها ودفنها وجاء العبيد من بيت الباشا حالاً واخذوا يجهزون كل ما يلزم لذلك ونزلتُ الى المطبخ لاشعل النار فوضعت ذراعي على حافة الشباك وغطيت وجهي بكفيَّ واعولت في البكاء وبقيت على ذلك الى ان شعرت بيد على كتفي وقائل يقول ” يا مسكينة أانتِ هنا اين البنات لماذا تركنكِ وحدكِ “. فالتفت واذا انا بنافذ بك واقفاً امامي فلم يرفع يدهُ عن كتفي بل ادنى مني كرسيًّا بيدهِ الاخرى اجلسني عليهِ وكان شعري قد انحلَّ وانسدل على وجهي فازاحهُ بيدهِ وللحال فاضت الدموع من عينيَّ فغطيت وجهي بيديَّ وعدت الى البكاء . اما هو فوقف امامي صامتاً ثم امسك يديَّ بيديهِ وقال لي لا امنعكِ عن البكاء يا امينة لاني اعرف ان البكاء نافع لكِ ولكن تعالي الى غرفة اخرى اذ لا بدَّ من مجيئهم الى هنا بعد خمس دقائق

ففهمتُ مرادهُ لانهم كانوا عازمين ان يغسلوا جدتي هناك والتفت الى الموقد فوجدت النار مطفأَة فنهضت حالاً ومسكت قطعة حطب لاشعلها لكن الدموع اعمت عينيَّ وللحال سمعت صوت تلامذة المدارس ينشدون نشيد الغسل فاتكأْت على الحائط خائرة القوى

والتفت نافذ بك الى احدى الجواري وقال لها ” اهتمي انتِ بتسخين الماء يا بوار “ ثم دار اليَّ وقال ” وانتِ يا عزيزتي اعطي المفاتيح لبوار وتعالي معي . ما هذا أَأَنتِ حافية أَوَقفتِ حافية هنا من الصباح . تعالي اين غرفتك تعالي البسي اذ لا بدَّ لكِ من الذهاب الى بيتنا حالاً “

فلم اجبهُ بشيءٍ لان الضعف كان قد اخذ مني كل مأْخذ حتى فقدت ارادتي فتبعتهُ الى باب غرفتي ووقف هناك ونادى جاريةً اخرى وقال لها ساعديها يا ماهور لكي تلبس ثيابها والتفت اليَّ ووضع يدهُ على شعري بلطف وقال ساراكِ اليوم في بيتنا. قال ذلك ونزل ودخلتُ الغرفة مع الجارية ولم اكد اتم لبس ثيابي حتى سمعت صوت الرجال الذين اتوا ليأْخذوا النعش ودخل الجواري الى غرفتي ليرين الجنازة وامسكت حميدة بيدي وسارت بي الى الشباك وهي تقول التفتي اليها فان روحها الآن عند رأْس النعش وهي تودُّ ان تراكِ آخر مرة واقفة لتشييعها . ثم قالت لي بصوت منخفض انظري فان نافذ بك ماشٍ في الجنازة ما اوضعهُ والذي

بجانبهِ ابني داود . فنظرت مكرهةً لانني لم اعد افكر بابنها فرأيتهُ عريض المنكبين قصير القامة

وفعل نصرالله باشا اكثر مما يطلب منهُ فاخرج الجنازة على نفقتهِ وغطّى النعش بشال من الكشمير الابيض ومشى العبيد امامهُ بمباخر الفضة وامامهم جمع غفير من المشايخ وتلامذة المدارس . الاَّ ان منظر النعش ورائحة البخور وصوت المشايخ والتلامذة كل ذلك اثر في نفسي تأثيراً شديداً وكنت خائرة القوى من السهر والحزن فطنّت اذناي وغبت عن الصواب وهذه اول مرة أُصبت فيها بالاغماء . ولما افقت وجدت نفسي على الديوان ورأسي متكئ على كتف وحيدة هانم فقالت لما رأَتني فتحت عيني لقد احسن نافذ باستدعائي الى هنا فان هذا فوق طاقتها . قومي يا حبيبتي فقد امسى المساء ولا بدَّ لنا من الرجوع الى البيت فني لارتب يشمككِ وائتيها يا ماهور بكاس ماء

فنظرتُ الى وحيدة هانم واذا عيناها مغرورقتان بالدموع فوضعت اليشمك على رأسي وقبلتني من صميم قلبها فلصقتُ بها كأَني احسب انها الملجأُ الوحيد لي وقامت وسارت بي الى الباب وهي ماسكة بيدي وقالت " تعالي معي وحميده وبوار تبقيان هنا مع المشايخ ". فاتكات عليها ونزلت معها الى الباب ودخلنا المركبة فسارت بنا وهنا انطبق كتاب الماضي وانفتح كتاب المستقبل

ستأتي البقية

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاعتناء بالاطفال

تمهيد

هذا موضوع لا نوفيهِ حقَّهُ مهما كرَّرنا الكلام فيهِ ولاسيما في هذا القطر وفي هذه العاصمة حيث يموت ثلاثة ارباع الاطفال قبلما يبلغون السنة الخامسة من عمرهم . والبلدان التي تفوق بلادنا في معرفة التدابير الصحية والعمل بها لا يموت الاَّ ثلث اطفالها قبل السنة الخامسة ويولد الاطفال اصحَّاء سليمين لا علة فيهم واذا اعتُني بهم الاعتناء الواجب عاشوا كلهم على

حدٍّ سوى . فهل تدري كل والدة تحمل جنينها تسعة اشهر وتلدهُ بالالم والوجع انهُ يموت لقلة اعتنائها بهِ ولجهلها التدابير الصحية اللازمة لهُ سواءٌ كانت غنية او فقيرة عالمة او جاهلة

اذا علمت كل والدة ان حياة طفلها متوقفة عليها كما ان حياة الزرع متوقفة على الزارع فان هو حرث الارض وخدمها وروى الزرع حينما يعطش نما واينع وان هو اهمل حرث الارض وخدمتها وتركهُ بغير ري جفَّ ويبس وكذلك الطفل اذا اعتنت والدتهُ بصحتهِ ورضاعتهِ عاش ونما وقوي والاَّ ضعف ومرض ومات . اذا علمت ذلك لم تترك واسطة تقي طفلها من المرض والضعف والموت لاسيما وان امراض الاطفال ناتجة عن تعريضهم لاسباب المرض فاذا لم يُعرَّضوا لها لم يمرضوا لان المرض نتيجة عن سبب وكما ان الحطب اذا وضعتهُ في النار اشتعل والسكَّر اذا وضعتهُ في الماء ذاب كذلك الطفل اذا تعرَّض لاسباب المرض والموت مرض ومات واذا لم يعرَّض لها اي اذا اعتني بهِ الاعتناء الذي يقيهِ من التعرُّض لها لم يصبهُ شيءٌ من ذلك

ومن الغريب انهُ مضى على المرأة الآن الوف من السنين وطفلها اعز شيء عندها وهي مستعدة دائمًا ان تفتديهُ بنفسها ومع ذلك ترى اكثر النساء يجهلن قوانين الصحة والوقاية . وقد ألَّف الاوربيون كتبًا في هذه المواضيع وكتبنا فيها فصولاً شتَّى في المقتطف ومع ذلك لا نرى بدًّا من اعادة الكتابة فيها وسنقسم الكلام الى فصول حسب اختلاف المواضيع

الفصل الاول في غسل الطفل

يرى الذين اعتنوا بتربية الاطفال ان لا بدَّ من غسلهم حالما يولدون . فيسخن الماء النقي حتى تصير حرارتهُ مثل حرارة الدم او حتى اذا غطَّت القابلة مرفقها فيهِ تشعر انهُ اسخن من يدها قليلاً وتجلس وتضع ملاءة نظيفة من الصوف الناعم على حضنها وتضع الطفل عليها ورأسهُ على يدها اليسرى ويوضع اناء الماء قرب يدها اليمنى وكذلك اسفنجة نظيفة ناعمة وقطعة ناعمة نظيفة من صوف الفلانلا وقطعة من الصابون ومنشفة ناعمة ولا بدَّ من ان يكون كل شيء نظيفًا ناعمًا جدًّا لان جلد الطفل رقيق لطيف لا يحتمل المسح بشيء خشن . وتشرع القابلة بغسل ما حول العينين ثم تفتحهما وتغسل جفنيهما بالاسفنجة او بقطعة الفلانلا الناعمة ولا بدَّ من ان يكون الماء نظيفًا نقيًّا والاسفنجة او قطعة الفلانلا من انعم ما يكون والاَّ احمرَّت عينا الطفل وكان ضررهُ من الغسل اكثر من نفعهِ . ثم تغسل وجههُ ايضًا بالاسفنجة والماء من غير صابون واذا كان في انفهِ مخاط نزعتهُ منهُ بلطف واعتناء ويجب ان تنزع المخاط من فمهِ ايضًا بالاسفنجة او بقطعة الفلانلا . ثم ترغي الصابون على الفلانلا وتغسل رأسهُ وتنشفهُ حالاً وبعد ذلك تغسل بدنهُ كلهُ بالماء والصابون وكلما غسلت قسمًا من بدنهِ نشفتهُ حالاً ولا سيما المفاصل

وطيات الابطين والساقين وخلف الاذنين وما بين الاصابع وكل طية من طيات جلدهِ تغسل بطرف الفلانلاَّ وتنشف بلطف . ومتى تمَّ غسل الجسم وتنشيفهُ يرش عليهِ قليل من مسحوق الارز الناعم (البودرا) الذي لم يطيب بشيءٍ

و يغسل الطفل كذلك مرتين في النهار مرةً في الصباح ومرة في المساء ولا تكون حرارة الماء اشد من حرارة الدم. ولا يضاف اليهِ لا خمر ولا بيرا ولا شيء من ذلك. ومن عادة بعض القوابل ان يعصرن ثديي الطفل ليخرج منهما لبن وهو عمل وحشي ضار وقد يضغطن يافوخهُ لكي تقترب عظامهُ بعضها الى بعض وهذا عمل ضارٌ ايضاً لان ارتخاء اليافوخ ليس ناتجاً عن بُعْد عظام الراس بعضها عن بعض بل عن ان ذلك الجزء الرخو لا يكون قد صار عظماً صلباً وهو يصير عظماً صلباً مع الزمان من نفسهِ والضغط عليهِ لا يصيرهُ عظماً ولا يقرب العظام بعضها من بعض

ولا يلبَّس الطفل ثيابهُ حالاً بعد غسلهِ بل يترك قليلاً يحرك يديهِ و يرفس برجليهِ فان ذلك نافع لهُ ولكن يشترط ان تكون الغرفة دافئة وليس فيها مجرى هواء وان كان فيها نار يجب ان لا يكون محل الطفل قريباً منها ولا يكون رأسهُ متجهاً الى جهة النار بل رجلاهُ

ثم تلتفت القابلة او الامرأة التي تغسل الطفل الى سرَّتهِ وتلفها بخرقة من القماش الناعم عرضها اربع عقد وتضعها مستوية على بطنهِ حتى لا تؤْلمهُ وتلفهُ بقماط من الفلانلاَّ حتى يبقى رباط السرَّة في مكانهِ ولا يتحرَّك . ويجب ان لا يكون هذا القماط ملفوفاً من طرفهِ لئلاَّ يؤْلم الطفل . ويجب ان لا يشد على جسم الطفل الاَّ بما يكفي لحفظ رباط السرَّة في مكانهِ. واذا كان مشدوداً اضرَّ بالطفل ضرراً شديداً وقد يكون سبباً لموتهِ

قال احد الاطباء انهُ دعي لمشاهدة طفل في حالة النزع فوجد ان التي غسلتهُ قمطتهُ وشدَّت القماط حتى لم يعد يستطيع التنفُّس الاَّ بالصعوبة الكثيرة فاصابتهُ نوبات كادت تقضي عليهِ فحلَّ قماطهُ وللحال انتعش وزال الخطر عنهُ

واذا كان الطفل صحيحاً سليماً قويًّا ترك القماط عليهِ الى ان تقع سرتهُ ثم يزال عنهُ ويترك بعد ذلك من غير قماط . واما اذا كان ضعيفاً فلا بأْس بابقاء القماط شهراً او شهرين. والغالب ان رباط السرَّة يجف ويقع في اليوم الخامس بعد ولادة الطفل

واذا خيف من بروز السرة الى الخارج تقص اثنتا عشرة قطعة مستديرة من القماش الناعم الصغيرةُ منها كالغرش والكبيرة كربع الريال والبقية بين هذين الحدين وترصف الواحدة فوق الاخرى وتوضع على السرة حتى تكون الصغرى مباشرة للسرة وتمكن عليها برباط يلف حول وسط الطفل حتى تضغط السرة قليلاً وتمنع من البروز

احرار البقول والحمَّى

يراد باحرار البقول ما يؤكل منها من غير طبخ كالخيار والفجل والخس والبقدونس وما اشبه فان هذه النباتات تؤكل متبلة بالخل والزيت او غير متبلة. والذين يزرعونها بقرب المدن يسمدونها بالاقذار التي تخرج من المراحيض . واذا فرض ان مرض احد بالحمى التيفويدية وطرح برازهُ في المرحاض من غير تطهير كما يحدث غالبًا ونزعت الاقذار وسمدت بها البقول فلا يبعد ان تلصق جراثيم الحمى التيفويدية بها وتصل الى الذين يأكلونها . ومن المحتمل ان بعض الذين يصابون بالحمي التيفويدية من العائشين عيشة صحية سبب اصابتهم اكل هذه البقول . ولا نشير ان يمتنع الناس عن اكلها ولكن ان يغسلوها جيدًا قبل اكلها ان امكن فبالماء الغالي والاَّ فبكثير من الماء النقي ومعلوم ان الاهتمام بذلك منوط بربة البيت فعليها ان لا تسمح باكل هذه البقول الاَّ بعد غسلها جيدًا والاَّ عرَّضت نفسها وزوجها واولادها لداء من اشد الادواء خطرًا. وحبذا لو منعت الحكومة الزارعين عن تسميد البقول بسماد فيهِ شيء من الاقذار وحكمت عليهم بالعقاب الشديد ان فعلوا ذلك لكي يستأصل الشر من اصلهِ

زينة البيت

ترى في المتحف المصري في هذه العاصمة وفي غيرها من العواصم ما يستدلُّ منهُ على الاساليب التي كان المصريون القدماءُ يجرون عليها في تزيين بيوتهم وتنميقها نعم ان ما بقي من ذلك مجموع من الهياكل والمدافن فقط ولكن يبعد عن الظن ان هذه الزينة لم يكن شيء منها في بيت الكبراء والاغنياء . وقد ابقت لنا الايام كثيرًا من الكراسي والمقاعد والموائد وفيها من النقش والاتقان ما يدلُّ على ان صانعيها كانوا يعرفون جمال الصناعة فترى قوائم الكراسي والمقاعد مصنوعة في شكل قوائم الاسد ببراثنهِ او الغزال باظلافهِ . وذوات الاوتار من آلات الغناء منقوشة نقشًا بديعًا ومزوقة بالوان شتى

والناظر في هذه الآثار وفي ما آل اليهِ حال المصريين بعد ذلك حتى في هذا العصر يعجب من زوال هذا الذوق ذوق الزينة والزخرفة ومحبة الجمال فانك تدخل بيت عمدة كبير من عمد هذا القطر فترى فيهِ اثاثًا فاخرًا موضوعًا فيهِ كما صنعهُ الصانع الاوربي وفرشهُ الفرَّاش المصري كراسي ومقاعد وموائد وستائر من الخشب المذهَّب والحرير المقصَّب بعضها بجانب بعض على انتظام واحد تحيط بهِ العين بنظرة واحدة كأنهُ في مخزن بائع لا تنويع فيهِ ولا تبديل . والعين تسأم من نظر الشيء الواحد كما تعاف النفس اكل الطعام الواحد

ادخل حديقة ليس فيها الاَّ نوع واحد من الورد ولا شجر غيرهُ او ليس فيها الاَّ نوع واحد من الليمون ولا شجر غيرهُ او ليس فيها الاَّ نوع واحد من النرجس ولا زهر غيرهُ فانك ترى ما فيها وتسرُّ بهِ حال رؤْيتهِ ثم تسأَم عينك من رؤْيتهِ اذا لم تجد تنويعًا في ما تقع عليهِ واما اذا دخلتَ حديقة فيها من انواع الورد والنرجس وغيرهما من الازهار اشكالاً كثيرة منتظمة على طرائق شتى وبينها الادواح المختلفة الاشكال والاقدار وجدت عينك ترتاح الى ما تراهُ حتى لو بقيت فيها ساعات متوالية ما شعرتَ بسأَم ولا بضجر

وهذا شأْن البيت وما فيهِ من الاثاث فاذا كان الاثاث من نوع واحد فقط ووضع على طريقة واحدة وخلا البيت من كل زينة أُخرى ظهر كالبستان الذي فيهِ نوع واحد من الشجر واما اذا تفنَّن واضعهُ في وضعهِ واضاف اليهِ ما تتم بهِ زينة البيت في زواياهُ وعلى جدرانهِ وحول كواهُ ظهر كالحديقة المنمقة الخمائل والمغارس المختلفة الادواح والازهار والرياحين

ومعلوم ان تزيين البيت من اعمال المرأَة وهي تتعلم ذلك من امها ومن جارتها ومن معلمتها. اما المرأَة المصرية فلا امل ان تتعلم ذلك من امها ولا من جارتها لانهما لا تعلمان من اساليب تزيين البيوت غير ما تعلمهُ هي . فالمعلمة هي المطالبة بتربية هذا الذوق في البنات لا بالوصايا وحفظ القواعد لان ذلك لا يكفي ما لم يقترن بالعمل بل بمطالبة البنت وهي في المدرسة بترتيب غرفتها وغرفة المقعد وغرف المعلمات وتنويع وضع الاثاث فيها من وقت الى آخر . ويجب ان يكون ذلك قسماً من التدريس في مدارس البنات في هذا القطر ولو لم يكن في الاقطار الاوربية لان البنات يتعلمنهُ هناك في بيوتهنَّ واما هنا فلا سبيل الى تعلمهِ الآن الاَّ في المدرسة

حال المرأَة في هذا القرن

اقترحت احدى المجلاَّت الاميركية على ستة من الكاتبات الشهيرات ان تكتب كلٌّ منهنَّ رايها في ما يصير اليهِ حال المرأَة في القرن العشرين

فكتبت الاولى منهنَّ وهي السيدة اليصابات ستانتون ما مفادهُ ان ما يرى الآن من فساد الآداب ناتج عن امتهان المرأَة فاذا أُبيح لها شرعًا ودينًا ان تتمتع بكل الحقوق التي يتمتع بها الرجل تربت فيها عزَّة النفس وترفعت عن الدنايا واضطرَّ الرجال ان يكرموها كما يكرم بعضهم بعضاً

وكتبت الثانية وهي للي دڤرو بلاك ما مفادهُ انهُ رغمًا عن احتقار النساء مدة قرون كثيرة وامتهانهنَّ ظهرت مزيتهنَّ على الرجال كلما لاحت لهنَّ فرصة. فجنود اسرائيل قادتهم دبورة حينما عجز كالب عن قيادتهم وجنود فرنسا قادتهم جان دارك حينما قُهر جنرالية فرنسا . واليصابات

ملكة انكلترا وماريا تريزا ملكة النمسا وكاترين ملكة روسيا فقنَ الملوك الذين سبقوهنَّ او لحقوهنَّ . وما من احد يجادل الآن في كفاءة المرأة واقتدارها على القيام بالاعمال التي يقوم بها الرجل وهي لا تشغل الآن منصباً مما يشغلهُ الرجال عادة الاَّ بعد ان يثبت انها اكفى من الرجل لذلك المنصب

وكتبت هريت سبوفرد ان ما مرَّ على المرأة من عصور الاستعباد اضعف قواها واعتمادها على نفسها . ولكن الاساليب الحديثة لتعليمها وتهذيبها قد تقوي فيها مبدأ الاستقلال والاعتماد على النفس فتنتظم في سلك المخترعين والمستنبطين وتتولى الاعمال على انواعها واذا لم تقوَ على الاعمال الشاقة كما لا يقوى عليها كثيرون من الرجال فلا تتعذَّر عليها الاعمال الاخرى التي لا تقتضي قوة بدنية شديدة. وقد اظهر النساء كفاءتهنَّ لتولّي الاشغال العقلية كالطب والقضاء. وكثيراً ما اعتُرض على انهنَّ لا يستطعن الحرب كأَن ليس للانسان عمل آخر غير الحرب او كأَن كل الرجال قادرون عليها ومع ذلك فللنساء عمل كبير في ميادين القتال لا يقلُّ نفعهُ عن عمل الجنود وهو الاعتناء بالمرضى والجرحى . ثم اذا اعطيت المرأة حقها في نظام الامم تصير الحروب اقل مما هي الآن كثيراً فتكون المرأة اكبر مبطل لها

وقالت غراس غرينوود اني ارى في كبر سني تعزية لي وهي تذكُّري الزمن الذي ابتدأ فيهِ تحرير المرأة . وارى كثيرات من بنات نوعي يبذلنَ جهدهنَّ الآن في اتمام هذا التحرير وجعل المرأة مساوية للرجل في كل الحقوق ولكني لا ارى انهنَّ ينلنَ ذلك ما لم تتساوَ المرأة بالرجل في نظر الدين اولاً فاذا كانت السماءُ للرجال والنساء على حدٍّ سوى فالدين للرجال والنساء على حدٍّ سوى ويجب ان تكون الخدمة الدينية مباحة للجميع من غير تمييز

وقالت بلنا لوكوود ان انتظام النساء الاميركيات في سلك العمَّال كان نتيجة لازمةً عن تعلمهنَّ . وقد صارت الاعمال تعمل الآن بآلات متقنة تقتضي عقولاً حاذقة لادارتها فناظرت المرأة الرجل في هذا المضمار وارتفع مقامها في عينيهِ وفي عيني نفسها . وصرنا الآن نعلّم البنات لا لكي يتزوجنَ بل لكي يعملنَ الاعمال اللازمة لمعيشتهنَّ واتقانهنَّ كما نعلم الصبيان لا لكي يتزوجوا بل لكي يعملوا و يشتغلوا . وستشتدُّ المناظرة بين الرجال والنساء ولكن تبقى الاعمال الكبيرة التي تقتضي رأس مال كبير في يد الرجال مدة النصف الاول من هذا القرن . وقد فتحت ابواب الصناعات للنساء فقام منهنَّ الطبيبات والمحاميات والقسيسات ونجاحهنَّ شجَّع غيرهنَّ على اقتفاء خطواتهنَّ . ولم يعد يستغنى عن الطبيبة الآن في مدن كثيرة ولاسيما في بلدان المشرق . وقد انتظم النساء في سلك رجال السياسة في الولايات الجديدة من بلادنا

وسيزيد عددهنَّ سنة بعد سنة. ولقد قال لي سفير الصين في بلادنا بعد ان شاهد تقدُّم نسائنا اني لا اعجب اذا انتخب الاميركيون رئيسة لحكومتهم بدل الرئيس يوماً ما ولكن لا بدَّ من ان يصير النساء وزيرات قبل ذلك

وقالت كات وودس ان المرأة تحاول الآن مجاراة الرجل وهو اقوى منها وكل الوسائط في يدهِ لا في يدها ولكنها نالت مع ذلك نصيباً وافراً من النجاح فجلست في مجلس القضاة والمحامين وتعلمت صناعة الطب ونجحت فيها وظهر من مهارتها في ادارة الاعمال الكبيرة ما اعجب بهِ رجال السياسة ورؤساء المعامل والغالب ان هؤُلاء النساء يظهرن في الولايات الغربية وهنَّ الآن يستخدمنَ في البنوك ومنهنَّ مديرة لاحد البنوك الكبيرة

وقد بارى النساء الرجال في ميادين الشعر والانشاء ونزعن منها الغثَّ والرياء وسينزهنها عما يقصد بهِ التوهيم والاغراء . ومفاد ذلك كلهِ ان يصلح حال الازواج والزوجات والاباء والامهات والبنين والبنات وحال العالم اجمع . انتهى بتلخيص كثير

باب الزراعة

البرسيم الحجازي

كتب المستر بونابرت من مدرسة الزراعة المصرية مقالةً مسهبة في انواع العلف المستعملة في القطر المصري اسهب فيها الكلام على البرسيم الحجازي فقال انهُ يفوق كل انواع العلف بقدمهِ وانتشار زراعتهِ وغزارة ما يحش منهُ وطول اقامتهِ في الارض وتحمُّلهِ الحر والبرد والعطش . وقد وُجد بريًّا في بر الاناطول وجهات مختلفة من بلاد فارس وافغانستان وبلوخستان وكشمير وزراعتهُ منتشرة الآن في جنوبي فرنسا وفي ايطاليا وبلاد المجر وكل البلدان الحارة في جنوبي اوربا وكان اليونان والرومان يعرفونهُ وقد اتوا بهِ من بلاد مادي وقت حرب الفرس سنة ٤٧٠ قبل المسيح وانتشر في اوربا من بلاد اليونان وأُتي بهِ الى مصر من فرنسا

وهو نبات دائم جذرهُ طويل تغور فروعهُ في الارض الى عمق عميق يتحمل تقلبات الحرارة والبرودة والعطش الشديد لعمق جذورهِ في الارض . تنبت لهُ فروع كثيرة من قمة جذرهِ طول الفرع منها من قدم الى ثلاث اقدام والمتوسط قدمان وهي كثيرة الورق . ولعمق

جذورهِ في الارض يجود في الاراضي العميقة التربة التي ترابها في طبقتها السفلى غير متماسك لكي يسهل على جذورهِ الامتداد فيها . ولا بدَّ من ان تكون الطبقة السفلى جيدة التربة سواء كانت الطبقة العليا جيدة التربة او غير جيدة . ولا بدَّ لهُ من كثير من الجير والبوتاس ولذلك يجود اذا كانا كثيرين في الارض واحسن الاراضي لهُ الارض الرملية الخصبة التي فيها جير وطبقتها السفلى كثيرة المسام . ويجود ايضاً في الاراضي الطفالية التي طبقتها السفلى كثيرة المسام بل في الرمال التي طبقتها السفلى جيدة فيها تراب جيري

وتعد الارض لهُ بالحرث الجيد العميق والتمهيد حتى ينعم ترابها . ويزرع من ١٥ مارس الى ١٥ مايو . واصلح الاوقات لزرعهِ اواسط ابريل وهو يزرع في خطوط البعد بينها ٣٠ الى ٣٥ سنتمترًا ليسهل عزقها ويكون امتداد الخطو شرقًا وغربًا . ومقدار التقاوي من ٣ ارباع الى كيلة ونصف للفدان ثم تغطى باليد وتروى ريًّا خفيفًا

ولا بدَّ للبرسيم من سباخ كثير ويستعمل لهُ السباخ البلدي ويوضع لهُ السباخ قبل زرع التقاوي ثم يسبخ مرةً كل سنة في شهر يناير او فبراير ويلزم للفدان من ٥٠ الى ٥٧ حمل جمل اي من ١٠ امتار مكعبة الى ١٥ مترًا من السباخ البلدي ولا بدَّ من نزع الاعشاب التي تنبت بينهُ لانهُ لا يجود في الارض ما لم تكن خالية من الاعشاب وما لم تكن محروثة جيدًا وناعمة التراب ولذلك لا بدَّ لهُ من العزق مرارًا عند اول زرعهِ ثم يعزق بعد كل حشة بعشرة ايام الى ١٥ يومًا

ولا بدَّ لهُ ايضًا من الري الغزير المنتظم فيروى في اول الامر مرةً كل اسبوع او عشرة ايام الى ان يحش اول مرة . ثم يروى بعد ذلك مرةً كل ١٠ ايام الى ١٥ اكتوبر اما في فصل الشتاء فلا يحتاج الى ري كثير

ويستمر البرسيم في الارض في القطر المصري ٣ سنوات او اربع سنوات ثم يقلُّ محصولهُ فتحرث الارض وينزع منها . ويمكن حشهُ مرةً كل ٣٥ او ٤٠ يومًا من ابريل الى دسمبر واما من دسمبر الى مارس فلا يحش الاَّ مرةً ولذلك يحش في السنة ٨ مرات. ولا بدَّ من حشهِ قبلما يزهر . والحش افضل من الرعي. ومقدار البرسيم الذي يحش من الفدان ٤٥ طنًا انتهى ملخصًا

هذا لا يخفى ان الارض التي تصلح لزرع البرسيم الحجازي وريها وافٍ تصلح ايضًا لزرع القطن ومهما زادت غلة البرسيم الحجازي لا يزيد ايجار فدانها على ستة جنيهات اي لا تزيد قيمة غلة الفدان على سبعة جنيهات او ثمانية في السنة ولكن قيمة غلة فدان القطن تبلغ ذلك او تزيد عليهِ ويمكن زرع زراعة اخرى مع القطن. وزد على ذلك ان استعمال البرسيم الحجازي محلي لمواشي القطر المصري لا غير فلا يمكن ان يتسع نطاق زراعتهِ الاَّ بمقدار ما تمسُّ الحاجة اليهِ

المعرض الزراعي

تأَخر افتتاح المعرض الزراعي هذا العام بسبب وفاة ملكة الانكليز كان ميعاد افتتاحهِ يوم الخميس في ٢٤ يناير فتأَخر الى ٢٦ منهُ وزارهُ يومئذٍ الجناب الخديوي ومعهُ دولتلو البرنس ابرهيم باشا حلمي الساعة ١/٢ ١٠ قبل الظهر وطاف في اقسامهِ كلها وبقي فيهِ نحو ساعة ونصف وكان ذلك اليوم شديد العواصف والامطار ولذلك لم يزرهُ فيهِ كثيرون ثم كثر عدد الزوار في اليوم التالي وما بعدهُ

وقد اتسع نطاق المعرض هذا العام لكثرة ما عرض فيهِ من الآلات والادوات التي تستعمل في الزراعة ولاسيما آلات البخارية التي تستعمل لرفع الماء ثابتة ومتحركة مما يدار بحرق الفحم والحطب ومما يدار بحرق زيت البترول. ومن اخص ما يذكر من هذا القبيل آلة بخارية عرضها محل الن والدرسن يحرق فيها الفحم او البترول وهي تدير آلة للدراسة وعرض آلة بخارية صغيرة من نوع التربين اي انها تدور بخروج البخار منها على المبدإِ القديم الذي ذكرهُ هيرون الاسكندري قبل التاريخ المسيحي ولم يعطَ حقهُ الاَّ في العام الماضي. ومن ذلك آلة بخارية عرضها محل نخمان قوتها ١٥ حصانًا تدار بالبترول ومقطوعيتها ٧ لترات في الساعة وآلة اخرى تنقل القوة منها الى آلة كهربائية ومنها الى آلات اخرى تتحرَّك بها

وعرض محل غوين آلة بخارية قوتها ١٥ حصانًا ترفع الماء خمسة امتار وتصبُّ منهُ ٢٥٠ مترًا مكعبًا في الساعة

وعرض محل الن والدرسن ايضًا آلة لضرب الارز تقشر ٨٠٠ اقة في اليوم وهي اختراع اميركي جديد وآلة لفرز التقاوي الكبيرة عن الصغيرة وآلة لتذرية القمح وآلة لعصر الزيت من بزرة القطن او السمسم او نحوهما وذلك ان الحبوب تمر بين اسطوانتين فتطحن ثم ترسل الى مرجل (قزان) فتلينها الحرارة وتسير من هناك الى قسم آخر من الآلة حيث تفرغ في قوالب وترسل الى معصرة مائية فتعصر بها وينصب الزيت المعصور في اناء تحتها ثم ينقى الزيت برشحة. وقد قيل لنا ان ذلك كلهُ لا يستغرق غير خمس دقائق. وهناك آلة لصنع اقراص الكسب مما يبقى من البزرة بعد عصر الزيت فيها لتعليف الدواب والمواشي وقد عرض في هذا المحل طلمبات مختلفة الاشكال وآلات لطحن الحبوب وآلة لقرط البرسيم من صنع محل مكورمك الاميركي المشهور وهي تعمل عمل ٢٤ عاملاً في اليوم اي انها تقطع برسيم ستة افدنة وآلة لفرز البنجر وغير ذلك مما يحتاج اليهِ الزارع في زراعتهِ

وعلى مقربة من محل الن والدرسن هذا محل جابي اخوان وشركاهم . وقد ارانا فيهِ حضرة

مهندسهِ الموسيو بولاتشك وابور لوكوموبيل يوقد فيهِ زيت البترول وقوتهُ ٦ احصنة وطلمبا تصب مئتي متر مكعب في الساعة وقد نالت الجائزة الكبرى في معرض باريس العام سنة ١٩٠٠ والجائزة الاولى في المعرض الزراعي هذه السنة

وعرض الخواجات ستينمان ومباردي آلات عديدة كثيرة النفع للمزارعين منها آلة للدراسة كان اصحاب المحل اول من اتى بها الى هذا القطر فاقبل عليها كبار المزارعين وآلة لتفريط الذرة تفرط ٢٠٠ اردب في اليوم استحضرت هذه السنة وآلة لغربلة حبوب البرسيم احضرت في السنة الماضية وقد وجه الخواجه مباردي انظارنا خصوصاً الى الطلمبات التي عرضها في محلهِ من احسن طرز انكليزي وفرنسوي ولا سيما الطلمبات الفرنسوية منها

وعرض محل الخواجا انطون قلادة وكيل شركة ميدلند آلات متعددة منها وابور لوكوموبيل نال الجائزة الاولى في السنين الماضية ومطاحن ومثاقب وطلمبات فمنح هذه السنة الجائزة الاولى الذهبية على محراث جديد وهو اخف من المحراث البلدي بنحو الثلث على ما اخبرنا ومن مزاياهُ انهُ يقلب التربة في حرث الارض الى جهة واحدة ذهاباً واياباً لوجود سلاحين فيهِ واحد للذهاب وواحد للاياب ولهُ سكين امامهُ يقطع بها جذور الاشجار اذا وجدت في طريقهِ

وارانا الخواجه ارتين انترانيجيان آلة للتذرية اخترعها فنال عليها الجائزة الاولى هذه السنة وهي تذري ٤٠ اردباً من الحبوب في اليوم ويديرها رجل واحد بيدهِ على اسهل اسلوب فتخرج الحبوب مذراة بها جيداً

وعرض محل ارثور كوبل سكة حديدية زراعية وعربات لنقل التراب والرمل والسماد والحجارة والفحم وقصب السكر وعربات لنقل البضائع المختلفة ومثالاً من السكة الحديدية التي تسير بالكهربائية

وعرض محل نحمان ادوات حفر الآبار الارتوازية والآبار الحبشية واشكال طبقات الارض التي حفرت لبئر في الفيوم عمقها ٥٥ متراً

وعرض محل نيدلنجر آلات الخياطة من طرز سنجر وهي كثيرة مختلفة الانواع والاشكال فمنها آلات لخياطة الثياب على اختلاف اشكالها ولخياطة الجلد لصنع الاحذية وخياطة الجلد السميك للسروج وخياطة اكياس الخيش وعمل برانيط القش والشمسيات وخياطة الازرار على الجلد الى غير ذلك مما يظهر باجلى بيان كيف تنوب الآلات عن الانسان في هذا الزمان وكيف تعمل الآلة الواحدة في دقيقة ما لا يعملهُ عدة عمال في ساعة فلا عجب اذا رخصت اسعار المصنوعات رخصاً عظيماً عاماً فعاماً

ويلي معرض نيدلنجر معرض الكنس والرش وما فيهِ من السروج وعدد الخيل وغير ذلك من المصنوعات المتعددة الاشكال التي يصنعها صناع من الاهالي ويتقنون صنعها اتقانًا عظيمًا حتى يظنها الناظر صنع البلاد الاوربية لا صنع الديار المصرية ويلي ذلك معرض مدرسة المهندسخانة ونظارة الاشغال . وهناك يتذكر الناظر معرض باريس مما يرى امامهُ من مُثل القناطر والمصارف والسدود والسواقي والمرشحات ومثال الانتكخانة المصرية الجديدة ومثال ديوان الاوقاف ودار التحف العربية الى غير ذلك من المصنوعات المتقنة الجميلة

وكان معرض المواشي حسنًا جدًّا تبارى فيهِ بعض ارباب الزراعة عدا دائرة الخاصَّة الخديوية ودائرة القصر العالي وبعض الدوائر الاخرى التي كانت تعرض فيهِ عادةً كما ترى مما يلي

بقر الوجه البحري

ثور يزيد عمرهُ على ثلاث سنوات. نال الجائزة الاولى ثور عرضتهُ دائرة الخاصة الخديوية. والثانية ثور عرضهُ ابرهيم بك مراد. ومدالية الفضة ثور عرضهُ مصطفى باشا البغدادلي. ومدالية البرنز ثور عرضهُ شعراوي بك

ثور يقل عمرهُ عن ثلاث سنوات. نال الجائزة الاولى ثور عرضتهُ الخاصة الخديوية. والثانية ثور آخر عرضتهُ الخاصة الخديوية. ومدالية الفضة ثور عرضهُ محمود بك حبشي ومدالية البرنز ثور عرضهُ بحري حلاوى

عجل . نال الجائزة الاولى والثانية عجلان عرضتهما الخاصة الخديوية

بقرة حلوب او عشار يزيد عمرها على ٣ سنوات . نالت الجائزة الاولى والثانية بقرتان عرضتهما الخاصة الخديوية ومدالية الفضة بقرة عرضها شواربي باشا ومدالية البرنز بقرة عرضها البرنس ابرهيم حلمي

بقرة عمرها اقل من ٣ سنوات . نالت الجائزة الاولى والثانية بقرتان عرضتهما الخاصة الخديوية ومدالية الفضة بقرة عرضتها مدرسة الزراعة . ودبلوما بقرة عرضها سجن طره

عجلة . نالت الجائزة الاولى عجلة عرضتها الدائرة الخاصة والجائزة الثانية عجلة عرضتها مدرسة الزراعة

زوج ثيران خصيَّة شغالة. نال الجائزة الاولى زوج ثيران عرضهُ مصطفى باشا البغدادلي والجائزة الثانية زوج ثيران عرضهُ ابرهيم سعودي وشواربي باشا . ونشان الفضة زوج عرضهُ ابرهيم بك مراد ونشان البرنز زوج عرضتهُ مدرسة الزراعة

بقر الوجه القبلي

كانت الجوائز والنياشين المعينة لبقر الوجه القبلي مثل الجوائز والنياشين المعينة لبقر الوجه البحري والظاهر انهُ لم يعرض من الوجه القبلي غير علي بك شعراوي فنال الجائزة الثانية ثور عرضهُ

جوائز خصوصية

احسن ثور بلدي معروض من الدرجات المتقدمة. نال الجائزة ثور عرضتهُ الخاصة الخديوية

احسن بقرة بلدية معروضة من الدرجات المتقدمة . نالت الجائزة بقرة عرضتها الخاصة الخديوية

المواشي الاجنبية

ثور يقل عمرهُ عن ٣ سنوات . نال مدالية الفضة ثور عرضهُ بوغوص باشا نوبار

بقرة حلوب او عشار عمرها اكثر من ٣ سنوات . نالت مدالية فضة بقرة عرضتها الخاصة الخديوية

البقر المولدة او المجنسة

ثور عمرهُ اكثر من ٣ سنوات . نال مدالية الفضة ثور عرضتهُ دائرة القصر العالي

ثور عمرهُ اقل من ٣ سنوات . نال مدالية الفضة ثور عرضتهُ الخاصة الخديوية ومدالية البرنز ثور عرضتهُ مدرسة الزراعة

بقرة حلوب او عشار عمرها اكثر من ٣ سنوات . نالت الجائزة الاولى بقرة عرضها البرنس ابرهيم باشا حلمي والثانية بقرة عرضتها مدرسة الزراعة ومدالية البرنز بقرة عرضها بوغوص باشا نو بار

عجلة عمرها اقل من ٣ سنوات . نالت الجائزة الاولى والثانية عجلتان عرضتهما الخاصة الخديوية

عجل من سنة فما دون . نالت الجائزة الاولى والثانية عجلتان عرضتهما الخاصة الخديوية ومدالية البرنز عجل عرضتهُ مدرسة الزراعة

المواشي المسمنة للذبح

نال مدالية الفضة المواشي التي عرضها البرنس ابرهيم باشا حلمي

الجواميس

جاموس عمرهُ ٣ سنوات فاكثر . نال الجائزة الاولى جاموس عرضتهُ الخاصة الخديوية والثانية جاموس عرضتهُ شركة اراضي ابي قير

عجل جاموس عمرهُ من سنة الى سنتين. نال الجائزة الاولى عجل عرضتهُ الخاصةّ الخديوية والثانية عجل عرضتهُ دائرة القصر العالي

جاموسة حلوب او عشار عمرها ٣ سنوات او اكثر . نالت الجائزة الاولى، والثانية جاموستان للخاصة

عجلة جاموس عمرها من سنة الى ثلاث . نالت الجائزة الاولى عجلة للخاصة الخديوية

الغنم المرعز

كبش عمرهُ اكثر من سنة . نال الجائزة الاولى والثانية كبشان للخاصة. ومدالية الفضة كبش لبوغوص باشا نوبار

ثلاث نعاج عشار اومع نتاجها. نالت الجائزة الاولى نعاج للخاصة والثانية نعاج لبوغوص باشا نوبار والدبلوما نعاج لمدرسة الزراعة

الغنم البلدي

خروف عمرهُ سنة فاكثر نال الجائزة الاولى كبش لاسمعيل بك دبوس والثانية خروف لمصطفى باشا وهبي البغدادلي . ومدالية الفضة خروف لمحمود بك حبشي والدبلوما خروف لشواربي باشا

غنم برقة

خروف عمرهُ اكثر من سنة . الجائزة الاولى خروف لمدرسة الزراعة

ثلاث نعاج عشارية اومع نتاجها . الجائزة الاولى لمدرسة الزراعة

الغنم الاجنبية

نعجتان . مدالية الفضة نعجتان لبوغوص باشا نوبار

المعزى البلدي

الجائزة الثانية لتيس عرضهُ حسن ابيه

المعزى الاجنبي

جائزة اولى لتيس عرضتهُ الخاصة الخديوية وجائزة اولى لثلاث نعاج عرضتها الخاصة الخديوية وجائزة اولى ثلاثة جداء للخاصة الخديوية ايضاً

الجمال والهجن

نال الجائزة الاولى جمل لمخالي فلتوس والثانية جمل لشواربي باشا ومدالية الفضة جمل لعلي بك شعراوي

الخيل

نال الجائزة الاولى فرس صالح لاعمال الزراعة عرضهُ البرنس عمر باشا طوسن والثانية فرس عرضهُ ابو زيد طنطاوي

البغال

نال الجائزة الاولى والثانية بغلان لمصلحة التنظيم ونال بغل للبرنس عمر باشا طوسن شهادة

الحمير

حمار لانتاج البغال . نال الجائزة الاولى حمار للبرنس عمر باشا طوسن والثانية حمار للدائرة الخاصة . وشهادة حمار للجنة انتاج الخيول

حمار بحري . نال الجائزة الاولى حمار للدائرة الخاصةوالثانية حمار لمس دلانوى

اتان بحرية نالت الجائزة الاولى اتان للدائرة الخاصة ستأتي البقية

ومما يؤسف عليهِ ان اهالي الوجه القبلي لم يعرضوا شيئًا من المواشي في اكثر ابواب هذا المعرض مع انهُ عُيّنت جوائز لمواشيهم كما عُيِّنت جوائز لمواشي الوجه البحري

التجارب في زراعة القطن

لخص جناب المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية الخديوية التجارب التي جربت في زراعة القطن بالجيزة في السنة الماضية بالعبارات الآتية بحروفها

١ يمكن الاستفادة باستعمال الاسبخة الكيماوية

٢ ان الاسبخة الموافقة تلجيء الزرع الى سرعة النضج او بمعنى آخر تزيد في نسبة ما يتحصل في اول جمعة

٣ ان سباخ نيترات الصودا يؤثر تأثيرًا مضرًّا في القطن فيضطرهُ الى النمو السريع ويوجد داخل نباتاتهِ الرطوبة و بذلك يؤخر نضجهُ

٤ ان وضع الفوصفات القابلة للذوبان في الارض على شكل الفوق فوصفات انتج نتيجة حسنة

٥ ان وضع الاسبخة البوتاسية على شكل الكاينيت تفيد الارض ولكن زيادة المحصول لا تكون بقدر الزيادة الناتجة عن الفوق فوصفات

٦ ان الفوصفات غير القابل للذوبان لا يفيد الارض كثيرًا مثل الفوصفات القابل للذوبان

٧ ان الاسبخة غير الحاوية للنتروجين اذا وضعت في اراضي ضعيفة لا تفيد فائدة تذكر

٨ ان نيترات الصودا تؤَثر تأثيرًا حسنًا في الاراضي الضعيفة وان كان يستحسن كما ذكرنا قبلاً ان تخلط باسمدة اخرى قبل وضعها

٩ ان سباخي المواشي والبودرت يزيدان المحصول على العموم ولكن كما قلنا في مثل هذا الاوان في العام الماضي فلا يكثر من سباخ المواشي لانهُ يتلف الشعر

١٠ انهُ استنتج من وضع مقادير متساوية من البودرت بجملة طرق ان التكبيش افضلها

١١ ان الزراعة الواسعة عادت بزيادة في المحصول ونسبة عالية في متحصل الجمعات الاولى

[المقتطف] حبذا لو اسهب المستر فودن في وصف هذه التجارب وذكر اوصاف الارض التي أُجريت فيها ونفقات التسميد ومقدار الفائدة منهُ بالارقام ولو ذكر ايضًا الطرق التي يمتحن بها السماد الصناعي لمعرفة ما فيهِ من المواد المفيدة كالفصفات القابل الذوبان. وحبذا لو منعت الحكومة بيع السماد ما لم يكن معهُ شهادة منها بمقدار ما فيهِ من المواد التي يتوقف فعلهُ عليها دفعًا للغش

باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر فبراير ١٩٠١

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

عطارد نجم المساء الشهر كلهُ ويقطع تبابنهُ الاعظم وهو ١٨° و٦َ شرقًا نصف الليل بين ١٩ و٢٠ الشهر ويرى في الشفق اياماً نحو ذلك الوقت . وحركتهُ مستقيمة الى نصف الليل بين ٢٥ و٢٦ الشهر وحينئذٍ يتجه غربًا الى الشمس. ويقطع نقطتهُ الصاعدة في الرابع عشر من الشهر الساعة ٨ مساءً ونقطة الراس في ١٩ الشهر الساعة ١١ صباحًا

الزهرة

الزهرة نجم الصباح وهي مقتربة من الشمس وحركتها مستقيمة ويستنير ٠،٩٤٩ من قرصها في الرابع عشر من الشهر

المريخ

المريخ نجم الصباح حتى ٢٢ الشهر الساعة ٨ صباحًا حينما يمر بالاستقبال ويقطع حينئذٍ

الهاجرة نصف الليل ثم يصير نجم المساء و يبلغ نقطة الذنب في الخامس والعشرين الساعة ١٠ صباحاً . ومعلوم ان اهليلجية المريخ عظيمة جدًّا ولوقوعهِ في نقطة الذنب وقت الاستقبال يعسر رصدهُ فكل ما يقال عن الاكتشافات فيهِ يجب ان يؤْخذ بالحذر الشديد

المشتري

المشتري نجم الصباح يقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ٩ والدقيقة ٢٥ صباحاً وفي ٢٨ منهُ الساعة ٨ صباحاً وحركتهُ مستقيمة

زحل

زحل نجم الصباح ويقطع الهاجرة في غرة الشهر الساعة ١٠ والدقيقة ٥ صباحاً وفي الثامن والعشرين منهُ الساعة ٨ والدقيقة ٢٧ وحركتهُ مستقيمة

واورانوس يقطع عقدتهُ النازلة في الخامس عشر الساعة ٣ صباحاً و يقطع الهاجرة في الرابع عشر الساعة ٧ والدقيقة ٢٢ صباحاً . ويكون نبتون على الهاجرة يومئذٍ الساعة ٨ مساءً

اقترانات القمر والسيارات

يوم	ساعة				
في ٦	٠	صباحاً	يقترن بالمريخ فيقع	٩° ,٥٤َ	شماليهُ
١٥	٧	"	" بالمشتري "	٢° ٥١َ	جنوبيهُ
١٥	٩	مساءً	" بزحل "	٣° ٣َ	"
١٧	١١	"	" بالزهرة فتقع	٥ ٤٩َ	"
٢٠	٣	"	" بعطارد فيقع	٣ ٢٩َ	"

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٣	٥	٣٠	مساءً	البدر
١١	٨	١٢	"	الربع الاخير
١٩	٤	٤٥	صباحاً	الهلال
٢٥	٨	٣٨	مساءً	الربع الاول
٩	٩,٤		صباحاً	في الحضيض
٢١	٤,٧		مساءً	في الاوج

باب التقريظ والانتقاد

خاتمة رسائل اخوان الصفا

رسائل اخوان الصفا كتاب قديم مشهور ذكرهُ الوزير جمال الدين ابو الحسن القفطي المتوفَّى سنة ٦٤٦ ه في كتابهِ تراجم الحكماء وذكر رسالة كتبها ابو حيان التوحيدي في حدود سنة ٣٧٣ ه وصف فيها كيف أُلفت هذه الرسائل فقال "ان زيدًا بن رفاعة (وهو من معارفهِ) اقام بالبصرة زمانًا طويلاً وصادق بها جماعة منهم ابو سليمان محمد بن مشعر البستي وابو حسن علي هرون الزنجاني وابو احمد المهرجاني والعوفي وغيرهم وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة فوضعوا بينهم مذهبًا زعموا انهم قرَّبوا بهِ الطريق الى الفوز برضوان الله وذلك انهم قالوا ان الشريعة قد دُنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الاَّ بالفلسفة لانها حاوية الحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وزعموا انهُ متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال وصنَّفوا خمسين رسالة في جميع اجزاء الفلسفة علميّها وعمليّها وسموها رسائل اخوان الصفا وكتبوا فيها اسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وحشوها بالكلمات الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق المموهة. وهي خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات. وحملتُ عدةً منها الى شيخنا ابي سليمان السجستاني وعرضتها عليهِ فنظر فيها اياماً وتبحَّر طويلاً ثم ردَّها عليَّ وقال تعبوا وما اغنوا ونصبوا وما أُجروا وحاموا وما وردوا وغنُّوا وما اطربوا ونسجوا فهلهلوا ومشطوا فلفلفوا ظنوا ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع ظنوا انهم يمكنهم ان يدسُّوا الفلسفة التي هي علم النجوم والافلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة والموسيقى والمنطق في الشريعة وان يربطوا الشريعة في الفلسفة وهذا مرام دونهُ جدد وقد تورَّك على هذا قبل هؤلاء قوم وكانوا اعظم اقدارًا وارفع اخطارًا واوسع قوًى واوثق عرًى فلم يتم لهم ما ارادوهُ ولا بلغوا منهُ ما املّوهُ لان الشريعة مأخوذة عن الله عزَّ وجلَّ بواسطة السفير بينهُ وبين الخلق من طريق الوحي والمناجاة وفي اثنائها ما لا سبيل الى البحث عنهُ والغوص فيهِ ولا بدَّ من التسليم المدعو اليهِ والمنبَّه عليهِ وهناك يسقط لمَ ويبطل كيف ويزول هلاَّ ويذهب لو وليت". انتهى ملخصاً مما ذكرهُ احمد بك زكي في رسالة مسهبة لهُ في هذا الموضوع طبعت سنة ١٣٠٨ هجرية وقد

انتبهنا اليها اتفاقاً حالما مسكنا القلم لتقريظ هذه الرسالة ويظهر منها جليًّا ان ما قالهُ التوحيدي والسجستاني يؤيد ما ذكرناهُ في الجزء الماضي عند الكلام على ضرر المطابع وما نجاهر بهِ دائماً وهو ان محاولة بعض الكتَّاب تعزيز القضايا العلمية بالامور الدينية والامور الدينية بالقضايا العلمية ليست من الحكمة في شيءٍ

ورسالة اخوان الصفا التي نحن بصددها فيها وصف "تداعي الحيوانات على الانسان" لدى ملك الجان ويقال فيها ان سفينة طرحتها الرياح على جزيرة فنزل مَن فيها الى الجزيرة واستوطنوها وسخروا الحيوانات التي فيها حسبما كانوا يفعلون في بلادهم فذهب زعماء الحيوانات وخطباؤُها الى ملك الجان وشكوا اليهِ امرهم فجمع سبعين رجلاً من الذين كانوا في السفينة وتداعى الفريقان امامهُ فامر الملك اخيراً "ان تكون الحيوانات باجمعها تحت اوامر الناس ونواهيهم"

ويظهر مما ذكرهُ اخوان الصفا عن لسان الناس والبهائم انهم كانوا مطَّلعين على كتب العلم اليونانية التي تُرجمت الى العربية فاخذوا مقولاتها وتوسعوا فيها بالزيادة والنقصان ومزجوا بها آراءهم واوهامهم واضافوا اليها من الآيات والاحاديث ما ظنوهُ مؤيدًا لها لكي يربطوا الشريعة بالفلسفة فلم يتم لهم ما ارادوهُ ولا بلغوا ما املوهُ كما قال السجستاني واجاد

والرسالة مطبوعة طبعًا حسنًا على ورق جيد جدًّا في مطبعة دار الترقي

المرأَة الجديدة

يرى المطَّلعون على تاريخ الامم ومسير العمران ان لا بدَّ لاهل الاسلام من ثورة اصلاحية مثل الثورة التي اوقد نارها لوثيروس في اوربا فيقابَل زعماءُ هذه الثورة بالتكفير والحرمان كما قوبل لوثيروس وانصارهُ ولكن الاصلاح الذي ينادون بهِ يفوز فوزاً مبينًا فوق ما قدَّروهُ لهُ ويسير في منهاج اصح من المنهاج الذي وضعوهُ . واذا صحَّ هذا الرأي فيكون صاحب كتاب تحرير المرأَة وكتاب المرأَة الجديدة وصاحب مقالة النساء في الاسلام وصاحب جريدة المنار من زعماء هذه الثورة الاصلاحية وتكون الثمرة الاولى التي يجنونها تكفيرهم او حرمانهم لكن يلتفُّ حولهم كثيرون من العقلاء الذين يغارون على امتهم واوطانهم ويناضلون ويساجلون الى ان يستتبَّ لهم الفوز اخيرًا

وكتاب "المرأَة الجديدة" اصغر حجمًا من كتاب تحرير المرأَة واقل مادةً لكن فصولهُ اكثر انسجامًا من فصول ذاك على ما يظهر لنا واقوى ادلةً . وقد اطلق مؤَلفهُ العنان لقلمهِ فجاهر

بغرضهِ كلهِ من اول سطر خطَّهُ فيهِ قال " المرأة الجديدة هي ثمرة من ثمرات التمدن الحديث " فجمع في ثماني كلمات زبدة الكتاب وزبدة آرائهِ فيهِ وترك خصومهُ وخصوم العمران الاوربي يتقوَّلون ما شاؤُوا . ثم فصَّل هذا القول المجمل في المقدَّمة وزادهُ تفصيلاً وايضاحاً في الفصول الخمسة التي تلتها فقال في المقدَّمة انهُ بدأ ظهور المرأة الجديدة " في الغرب على اثر الاكتشافات العلمية التي خلَّصت العقل الانساني من سلطة الاوهام والظنون والخرافات وسلمتهُ قيادة نفسهِ ورسمت لهُ الطريق التي يجب ان يسلكها . ذلك حيث اخذ العلم يبحث في كل شيءٍ وينتقد كل رأي ولا يسلم بمقال الاَّ اذا قام الدليل على ما فيهِ من المنفعة العامة وانتهى بهِ السعي الى ان ابطل سلطة رجال الكنيسة والغي امتيازات الاشراف ووضع دستوراً للملوك والحكام واعتق الجنس الاسود من الرق ثم اكمل عملهُ بان نسخ معظم ما كان الرجال يرونهُ من مزاياهم التي يفضلون بها النساء ولا يسمحون لهنَّ بان يساوينهم في شيءٍ منها ". ومفاد ذلك ما اثبتهُ في السطر الاول من المقدمة وهو " ان المرأة الجديدة ثمرة من ثمرات التمدُّن الحديث " كالآلة البخارية والتلغراف والتلفون ولا شأن في وجودها لمزايا الامم الشمالية المتطلّبة الحرية ولا للديانة المسيحية التي جعلت قديساتها كثيرات مثل قديسيها وكاد بسطاؤُها يعبدون العذراء المباركة كما يعبدون ابنها. ولا شبهة في ان المكتشفات العلمية خلصت العقل من سلطة الاوهام فابطل سلطة رجال الكنيسة والغي امتيازات الاشراف وكان لذلك الشأن الاكبر في ارتقاء الامم الاوربية رجالاً ونساء ولكن لا ينكر ايضاً ان امم الشمال اطلب للحرية من غيرها وان الديانة المسيحية مهَّدت السبيل لهذه الحرية ولهذا الارتقاء العقلي

وذكر في الفصل الاول كلاماً مختصراً عن حال المرأة في العصور الاولى ثم عند اليونان والرومان والعرب وانتقل بغتةً الى حالها في اوربا واميركا الآن ولخَّص ذلك بقولهِ " عاشت المرأة حرَّةً في العصور الاولى حيث كانت الانسانية لم تزل في مهدها ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي ثم لما قامت الانسانية على طريق المدنية تغيرت صورة هذا الرق واعتُرِف للمرأة بشيءٍ من الحق ولكن خضعت لاستعباد الرجل الذي قضى عليها بان لا تتمتع بالحقوق التي اعترف لها بها ثم لما بلغت الانسانية مبلغها من المدنية نالت المرأة حريتها التامة. وتساوت بالرجل في جميع الحقوق . اربعة احوال يقابلها اربعة ادوار من تاريخ التمدن في العالم " . ثم قال ان المرأة المصرية هي اليوم في الدور الثالث اي انها معترف لها بشيءٍ من الحق ولكنها خاضعة لاستعباد الرجل الذي قضى عليها بان لا تتمتع بالحقوق التي اعترف لها بها. وان ذلك من توابع الاستبداد السياسي الذي يخضعنا ونخضع لهُ

واسهب في هذا الفصل والفصول التالية في الشروح الفلسفية والقضايا النظرية وتطبيق ذلك على حال النساء في هذه البلاد والبلدان الاوربية والاميركية وانصف النساء الاوربيات ودفع عنهنَّ ما يرميهنَّ بهِ بعض السفهاء الذين ذهبوا الى اوربا ولم يعاشروا من اهلها سوى المومسات وبعض الكتّاب الذين يبنون العلالي والقصور على احصاء اخطأُوا في قراءتهِ وفهمهِ ثم ابى عليهم تشيُّعهم الذميم ان يصلحوا خطاءهم . وبلغ منهُ حب الانصاف والانتصاف مبلغهُ في الفصل الخامس الذي نشرنا نحو ثلثهِ في هذا الجزء من المقتطف وهو ابلغ فصول الكتاب واقواها حجة واوضحها دليلاً بل هو القسم العملي منهُ الذي يجب الجري عليهِ . وقد جاهر فيهِ بما يتعذَّر على غيرهِ المجاهرة بهِ فقال " ان المدنية الاسلامية هي غير ما هو راسخ في مخيلة الكتّاب الذين وصفوها بما يحبُّون ان تكون عليهِ لا بما كانت في الحقيقة عليهِ وانها كانت ناقصة من وجوه كثيرة ولا نستغرب انها اخطأَت في فهم طبيعة المرأَة وتقدير شأْنها فليس خطأُها في ذلك اكبر من خطإِها في كثير من الامور الاخرى ... وان القول باننا ارقى من الغربيين في الآداب هو من قبيل ما تنشدهُ الامهات من الغناء لتنويم الاطفال "

واننا ننصح لكل اديب يغار على خير وطنهِ ويسعى الى اصلاحهِ ان يطالع هذا الفصل بالامعان فانهُ يجد فيهِ الدليل المقنع على وجوب تعليم المرأَة ومنع كل ما يضعف قواها الادبية والعقلية والبدنية

وقد كان لهذا الكتاب وقع عظيم عند جمهور الفضلاء والادباء في هذا القطر فكتب كثيرون منهم يقرظونهُ ويشكرون مؤَلفهُ على ما بذلهُ من الهمة في وضعهِ ونشرهِ من ذلك ما كتب بهِ اليهِ عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس مجلس النظار قال

عزيزي قاسم بك

قرأت مع التأمل كتابكم الثاني " المرأَة الجديدة " فرأَيتكم قد اصبتم فيهِ موضع العلة من الامة واحسنتم التشخيص ودللتم على انجع الدواء وأَيدتم باجمل اسلوب ما ذهبتم اليهِ في كتابكم الاول " تحرير المرأَة " من ان العائلة لا يمكن ان تكون وسطاً صالحاً لنماء الفضيلة ولا تتقدم الهيئة الاجتماعية في بلادنا تقدماً حقيقياً من دون تربية المرأَة على الفضيلة والعلم وان هذه التربية لا تتم مع وجود الحجاب كما هو معروف الآن

ويسرُّني ان اقاسمكم الاعتقاد بصحة هذا الرأْي والرغبة في تحقيقهِ وان اهنئكم على النباهة في الالتفات اليهِ والبراعة في تصويرهِ والبلاغة في التعبير عنهُ والشجاعة في نشرهِ والثبات في تأْييدهِ والادب في الدفاع عنهُ

واؤمل ان تعبكم في الفكر والتأليف والنصح لا يضيع سدًى وان هذه البذرة التي وضعتموها تثمر الثمرة المقصودة لكم فتنتظم حال العائلة وتبلغ الامة من الكمال ما يتمناهُ كل محب لخيرها

نعم ان هذا يحتاج الى زمان طويل ولكنهُ يقصر بمشيئة الله اذا دامت عنايتكم بتعهدهِ وساعدكم عليهِ امثالكم من الفضلاء

وانكم وان لم تجدوا في الزمن الحالي كثيرًا من الانصار فسيكون لكم المستقبل كلهُ من الاعوان يشكركم اهلهُ كلما شعروا بسعادة منزلية او وجدوا اثرًا للفضيلة في الهيئة الاجتماعية

اكثر الله من امثالكم في البلاد ووفقكم للنجاح في اعمالكم مصطفى فهمي

والمقتطف يكرّر لحضرة المؤلف ما قالهُ الوزير الحكيم رئيس النظار في خاتمة كتابهِ "اكثر الله من امثالكم في البلاد ووفقكم للنجاح في اعمالكم"

سمير العائلات

من آثار النهضة العلمية الحديثة الاكثار من نشر الكتب المفيدة علمية وادبية ترجمةً وتأليفًا وتلخيصاً وهي على درجات مختلفة من الفصاحة في العبارة والانسجام في الشرح والتدقيق في المعنى حسب اختلاف المترجمين والمؤلفين والمصنفين وتضلُّعهم من المواضيع التي يكتبون فيها

وسمير العائلات كتاب حسن في بابهِ قصد مؤلفهُ بث العلوم الدقيقة من حيث طبائع الحيوان في قوالب الحكايات والاحدوثات القريبة المنال السهلة المأخذ ففرض عائلة مصرية من زوج وزوجة وابن وابنة كانت تجتمع في حلقة البيت ويشرح الابن لاختهِ ما يتعلمهُ في المدرسة من حيث تركيب جسم الانسان . ثم فرض عائلة أُخرى قصَّت الام فيها على اولادها اخبارًا من طبائع القرود وقس على ذلك طبائع الدب والاسد وهلمَّ جرًّا . وسبيل العلم ليس سهلاً الى هذا الحد ولكن القصص والنوادر التي في هذا الكتاب تسلي وتفيد ولا سيما لانها موضحة بكثير من الصور ومكتوبة على اسلوب قريب المأْخذ فنشكر لحضرة مؤلفهِ شكرًا جزيلاً

رواية وردة

وردة اسم رواية الفها الدكتور جورج ايبرس الالماني وترجمت الى كثير من اللغات الاوربية . وقد قرأْناها بالانكليزية منذ نيف وعشر سنوات وترجمت الى العربية في ادارة المقتطف ولم نشأْ ان نطبعها قبلما نستأْذن مؤلفها في نشرها بالعربية . والظاهر ان حضرة محمد افندي مسعود سبقنا الى استئذانهِ فانهُ ترجمها ونشرها وقد اهدى الينا الجزء الاول منها وهو مكتوب بلغة فصيحة مثل كل نفثات قلمهِ فنشكرهُ على ما اتحف بهِ اللغة العربية

تاريخ الانشقاق

اشرنا الى هذا الكتاب حين صدور الجزء الاول منهُ وقد صدر منهُ الجزء الثالث الآن مدبجاً بقلم حضرة مؤلفهِ الفاضل الارشيمندريتي جراسيموس مسرَّة رئيس كنيسة السوريين الارثوذكس في الاسكندرية . وهو يبتدئ بتاريخ ما كان بين الكنيسة الشرقية والغربية من العلاقات بعد حروب الصليبيين اي من سنة ١٢٦٠ فما بعد حتى فتح القسطنطينية في اواسط القرن الخامس عشر وما حدث في هذه المدة من المجامع وما جرى من السعي لاعادة الاتحاد بين الكنيسة الشرقية والغربية وذهاب هذا السعي باطلاً . ويلي ذلك خاتمة ذكر فيها ملخص تاريخ الكنيسة الشرقية من بعد فتح القسطنطينية الى الآن . ويعجبنا منهُ ما ذكرهُ المؤلف من معاملة السلطان محمد الفاتح لبطريرك القسطنطينية فانهُ " دعاهُ الى الغداء على مائدتهِ واستقبلهُ بكل ترحاب ومنحهُ امتيازات كثيرة وسلمهُ عصا الرعاية مزينة بحجارة ثمينة علامة للسلطة كما كان يفعل قياصرة الروم ثم رافقهُ الى دار البلاط وكان فيهِ جواد من الجياد السلطانية عليهِ عدة ملكية فاركبهُ عليهِ وامر كل موظفي البلاط ان يرافقوهُ الى كنيسة الرسل واعطاهُ حرساً خاصاً ولم يترك عادة من عادات قياصرة الروم الاَّ اجراها بل زاد عليها " ويلي ذلك تفصيل الامتيازات التي منحهُ اياها

والتاريخ كبير مسهب وحبذا لو كان تاريخاً للاتحاد لا للانشقاق

باب الصناعة

زبيب كليفورنيا

ذكرنا غير مرة ان اهالي كليفورنيا احدى ولايات اميركا اخذوا يناظرون بلدان المشرق ولا سيما الاقطار السورية في ما كان يعدُّ من مزايا هذه البلدان فزرعوا العنب والتين والليمون وعصروا الخمر وصنعوا الزبيب على اشكالهِ ووردت محصولات بلادهم الى الولايات الشرقية من اميركا بل الى اوربا وزاحمت البضائع السورية فيها. وقد رأينا الآن وصف كيفية تيبيسهم للعنب وعمل الزبيب منهُ فترجمناها في ما يلي لكي يرى ابناء المشرق كيف يمكن ان ترخص الحاصلات والمصنوعات ولو غلت اجور الصناع كثيراً

في كاليفورنيا بلد اسمهُ فرسنو سكانهُ عشرون الفاً ويكونون فيهِ وقت قطاف العنب ٤٥ الفاً يعملون من الصباح الى المساء في قطف العنب وتجفيفهِ . ويبتدئ اصحاب الكروم من اول فصل الشتاء في قضبها من عند الارض ويظلُّون يعتنون بها ويذرُّون الكبريت عليها لدفع الحشرات عنها الى اوائل شهر يونيو . واذا كانو ماهرين في ذلك مهارة بعض الكرَّامين في سويسرا فلا عجب اذا امتلأَت كرومهم بعناقيد العنب حتى لا يبقى في قضبانها مكان لنمو الورق كما شاهدنا ذلك عياناً في الصيف الماضي فاننا عددنا في القضيب الذي طولهُ متر عشرة عناقيد او اكثر. لكن الزارع الاميركي يهتم بكبر العناقيد اكثر مما يهتم بكثرتها ولذلك يقطع منها كل العناقيد الصغيرة التي تضعف غيرها

وقد وُجد بالاختبار ان كل ثلاثة ارطال ونصف رطل من العنب يكون منها رطل من الزبيب . وتبلغ غلَّة الفدان خمسة اطنان من العنب او طناً وربع طن من الزبيب (والطن اثنان وعشرون قنطاراً مصرياً او نحو ثمانمئة اقة) . ومقدار السكَّر في الزبيب من ٢٥ في المئة الى ٢٨ في المئة

ويبتدئ قطاف العنب في تلك البلاد في اواخر اغسطس (آب) وهناك ٤٢ الف فدان مزروعة كروماً ويلزم لكل فدان رجل وهو يمسك العناقيد باعناقها من غير ان يلمس الحب بيدهِ ويضعها في اطباق طول الطبق منها ثلاث اقدام وعرضهُ قدمان ويسع ست اقات وتوضع الاطباق في الكروم مائلة الى جهة الشمس وتترك فيها ستة ايام الى ثمانية وتقلب العناقيد بان يوضع طبق فارغ على طبق العنب ويقلب فتنقلب العناقيد الى الطبق الفارغ . ويبقى العنب في الشمس عشرة ايام الى اثني عشر يوماً ثم ينقل الى مكان التعريق وفيهِ صناديق اكبر من الاطباق عمق الواحد منها شبر فتوضع ورقة في قاع الصندوق وفوقها طبقة من عناقيد العنب ثم ورقة وفوقها طبقة من العناقيد وهلمَّ جرًّا حتى يمتلئ الصندوق وتنقل الصناديق الى غرفة مظلمة نقية الهواء ولكنها مقفلة الكوى ويوضع بعضها فوق بعض وتترك في تلك الغرفة ١٥ الى ٢٠ يوماً حتى تعرق جيداً اي حتى تنتشر الرطوبة التي فيها بين كل اجزائها ولا يبقى جزءٌ منها ليناً وجزءٌ صلباً بل تلين كلها على حدٍّ سواءٍ

وترفع عناقيد الزبيب من هذه الصناديق لتوضع في الصناديق التي تباع فيها فيقع منها حبوب كثيرة وقت رفعها فتجمع هذه الحبوب وتنزع العيدان منها وتقسم الى اربعة اقسام حسب جرمها . وعندهم آلات ميكانيكية لتعريب الزبيب ونزع العيدان منهُ ويوكل النساء والبنات بوضع الزبيب في صناديق صغيرة يسع الصندوق منها عشرين رطلاً (نحو سبع اقات)

الى هذا الحد يكون الزبيب الاميركي كالزبيب السوري تقريباً ولا فرق بينهما الاَّ في ان الزبيب السوري يرش بقليل من ماء الرماد والزيت لكي يبقى ليناً ولا يختمر ولكن الاميركيين زادوا على ذلك منذ اربع سنوات ان صنعوا آلات تنزع العجم من الزبيب فانهم يجففون الزبيب اولاً على حرارة ١٤٠ درجة مدة خمس ساعات ثم يبردونهُ تبريداً شديداً وينظفونهُ جيداً ببرشات كبيرة يمر بينها ثم ينقلونهُ الى غرفة حرارتها ١٣٠ درجة ويبسط فيها على نسيج من الاسلاك المعدنية فيلين ويجود طعمهُ جداً وينقل الى آلة نزع العجم (البزر) منهُ فيمر اولاً بين اساطين من الكاوتشوك فتتسطح كل حبة منهُ ويظهر العجم فيها تحت قشرتها ناتئاً منها ثم يمر بين اساطين فيها ابر دقيقة تمسك العجم وتنزعهُ منها وتطرحهُ في جهة اخرى فيخرج الزبيب خالياً من العجم. والآلة الواحدة تنزع العجم من اثني عشر طناً في اليوم. وتبقى حبوب الزبيب سليمة بعد خروج العجم منها حتى لا يكاد يظهر الثقب الذي خرج العجم منهُ . ثم يوضع الزبيب في صناديق صغيرة من الورق يسع الصندوق رطلاً منهُ

قصر القطن

اسلوب جديد

استنبط الاستاذ غوشلن الالماني اسلوباً جديداً لقصر القطن وغيرهِ من الالياف النباتية وهو ان يوضع القطن في مغطس فيهِ ١٠٠ لتر من الماء و ١٠ كيلوغرامات من الجير (الكلس) و ٥٠ كيلوغراماً من بي كبريتيد الصودا ثم يعرَّض لفعل البخار ساعة من الزمان او ساعتين تحت ضغط قليل ويغسل بالماء ويجفف . ويمكن اغلاء القطن في المغطس بضع ساعات بدلاً من تعريضهِ لفعل البخار . ويقال ان هذا الاسلوب افضل من اسلوب القصر بالهيبوكلوريت ولا يتلف بهِ شيء من الالياف

اظهار الكتابة الممحاة

اذا محيت الكتابة عن القرطاس بحكها عنها سهل اظهارها ثانية بطريقة استنبطها حديثاً رجل هولندي وهي ان يذاب درهم من نيترات الفضة في عشرة دراهم من الماء ويدهن بهِ الورق محل الكتابة المحكوكة وحولها ويوضع في نور الشمس قليلاً فيسود الورق وتظهر الكتابة عليهِ اقل سواداً منهُ . كانهُ يبقى في الورق من دقائق الحبر ما يؤخر انحلال الفضة واسودادها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) سكان المريخ

امبابه . اسكندر افندي نبيه اكثر بعض علماء الفلك من القول الآن بان كوكب المريخ مسكون حتى يقال انهم حاولوا جهد استطاعتهم استنباط واسطة للتكلُّم مع سكانهِ. فهل ذلك صحيح وان كان صحيحاً فمن اين اتى سكانهُ

ج القول بان كوكب المريخ مسكون او قد يكون مسكونًا قديم ذكرناهُ منذ اكثر من خمس عشرة سنة كما قلنا في الجزء الماضي ولكن القول الحديث الذي تشيرون اليهِ لم يقل بهِ الاَّ عالم واحد كما ابنا في الجزء الماضي. ويظهر لنا انهُ واهم في حكمهِ ولذلك ازدرتهُ الجرائد العلمية ولم نرَ اشارة اليهِ في ما وصل الينا منها حتى الآن الاَّ في السينتفك اميركان وسنذكر ما قالتهُ في باب الاخبار العلمية وهو منطبق على ما سبقنا فذكرناهُ في الجزء الماضي من المقتطف

(٢) رفع حجارة الاهرام

ومنهُ . اية آلة استخدمها قدماء المصريين لرفع حجارة الاهرام الى هذا الارتفاع العظيم

ج يرجح الآن انهم استعملوا عتلة كالشادوف او كالقبان وكانوا يرفعون الحجارة بها من مدماك الى الذي فوقهُ على التوالي فيربَط الحجر بالحبال ويعلق بطرف عمود من الخشب معلق بثلاث اخشاب قائمة كما يعلق القبان ويشد بهِ الرجال من الطرف الآخر فيرتفع الحجر ويدار العمود حتى يصير الحجر فوق المدماك التالي فيبنى فيهِ او يُنقَل الى الذي فوقهُ كما نُقل اليهِ

(٣) قرطاجنة

ومنهُ . من اول من عمَّر قرطاجنة بعد ما دمرها الرومان وما تاريخها بعد ذلك

ج عمَّرها كايوس غراشوس سنة ١٢٢ قبل المسيح بعث اليها ستة آلاف من الرومانيين فانشأُوا مدينة يونونيا ولكنها لم تفلح وسنة ٢٩ قبل المسيح بعث اغسطس قيصر اناساً آخرين لتعميرها فافلحوا وعمرت البلاد حتى ناظرت الاسكندرية في مملكة الرومان على ما ذكر هيروديان وبلغت اوج مجدها في القرن الثالث

وعقد فيها كثير من المجامع المسيحية . وغزاها جنسرك الفندالي سنة ٤٣٩ وصارت كرسي مملكة الفندال في افريقية الى سنة ٥٣٣ . وغزاها عبدالله بن سعيد بامر الخليفة عثمان ففتحها وقتل واليها سنة ١٦ للهجرة ثم خربها حسان بن النعمان الغساني في خلافة عبدالله بن مروان سنة ٧٤

(٤) من سمى تونس

ومنهُ . مَن سماها باسمها الحالي تونس ولماذا سُمّيت كذلك

ج لم نقف في كل المظان الافرنجية التي عندنا على كلام شافٍ في اصل هذه التسمية لكن العرب يقولون في كتبهم ان المسلمين سموها تونس لانهم لما فتحوا افريقية كانوا ينزلون بازاء صومعة ويأنسون براهب هناك فيقولون هذه الصومعة تونس فلزمها وقيل كانوا يسمعون اصوات الرهبان طول الليل في صوامعهم فيستأنسون بهم فقالوا هذه البقعة تونس وقيل كان اسم الراهب صاحب الصومعة تونس وبهِ سميت

(٥) اكرام يوم الخميس

امبابه . سمعان افندي عوض . يكرم المسيحيون يوم الاحد واليهود يوم السبت والمسلمون يوم الجمعة فهل من امة اخرى تكرم يوم الخميس

ج نعم يكرمهُ الدروز

(٦) راحة المعادن

ومنهُ . زعم البعض ان المعادن تستريح وقد جرَّب احد الحلاقين ذلك في موسى فزاد مضاؤُهُ فما سبب ذلك والمعادن ليست حسَّاسة حتى تحسَّ بالتعب ولا هي نامية

ج قرأنا ذلك قبلاً وذكرناهُ في المقتطف ولم ينجلِ لنا سببهُ . ومن المؤكد ان دقائق المعادن متماسكة بما بينها من قوة الجذب . وفعل هذه القوة بالدقائق السطحية اقل منهُ في غيرها لان الدقائق السطحية تكون مجذوبة من خمس جهات لا من ست جهات مثل غيرها من الدقائق التي تحتها واذا كان الجسم رقيقاً جداً مثل حد الموسى فالدقائق التي على حدهِ تكون الجهات السائبة منها اوسع من الجهات الخاضعة لفعل الجذب فيحتمل ان تتبخر وتطير من نفسها اذا طال عليها الزمان واذا طارت ابقت الحد الذي تحتها ادق مما كان وهي فيهِ

(٧) شهب نوفمبر

بيروت . امين افندي ابرهيم غبريل . هل تساقطت الشهب في شهر نوفمبر الماضي كما انتظر الفلكيون وهل كان سقوطها عمومياً

ج لم تتساقط في الميعاد المنتظر ولكن تساقط بعضها قبل ذلك وشوهد في استراليا كما ترون في الجزء الماضي والمظنون الآن انها ربما تتساقط سنة ١٩٠٢

(٨) المزاج الصفراوي والسل

ومنهُ . ارى ان الذين يصابون بداء

السل يكونون غالباً من ذوي المزاج الصفراوي فهل لمرض السل تسلط على هذا المزاج اكثر من غيرهِ

ج لم نرَ نحن ذلك ولا بلغنا ان احداً قال بهِ . والمتواتر ان اصحاب المزاج الصفراوي يكونون معرضين لامراض الكبد وامراض المسالك الهضمية والعلل الباسورية العادية

(٩) تحريم الخمر

مصر . عبد العزيز افندي عزّت اللبودي

ما هو السبب في تحريم شرب الخمر

ج لم يُحرَّم شرب الخمر في ما نعلم ولكن أُمر الناس باجتنابها لعلة لاتخفى على احد وهي ان الخمر تسكر وتضرُّ شاربها وتمنعهُ عن القيام بما يطلب منهُ وهو سكران ولا فائدة منها توازي ضررها

(١٠) سبب البرق

ومنهُ . ما هو البرق وما سبب ظهورهِ في اوقات غير معلومة

ج اذا التفتم الى الترامواي الكهربائي رأيتم انهُ يتولد منهُ شرار مضيء احياناً عند ملتقى عجلهِ بقضبان الحديد التي تحتها وعند ملتقى بكرة القضيب الممتد منهُ الى الاعلى بالسلك الذي فوقهُ وهذا الشرار لا يتولد والعجل متصل بالقضبان التي تحتهُ والبكرة متصلة بالسلك الذي فوقها بل يتولد حينما ينفصل العجل عن القضبان انفصالاً قليلاً بالتراب ونحوهِ وحينما تنفصل بكرة القضيب عن السلك انفصالاً قليلاً لان التيار الكهربائي اذا جرى على جسم متصل وانفصل ذلك الجسم الى قسمين انفصالاً ضيقاً فقد يثب المجرى الكهربائي من احد قسميهِ الى الآخر بعنف شديد ويظهر شرارة ساطعة النور . وعلى هذا النمط تتولد الكهربائية احياناً في غيمتين متقابلتين غير متصلتين فتثب من احداهما الى الاخرى وهذا هو البرق . وقد يكون هذا الفعل الكهربائي بين الغيم والارض . ومعلوم ان ظهورهُ يتوقف على تولد الكهربائية في الارض والجو وتولدها يتوقف على الحرارة والبرودة وتولد البخار ومرور الرياح وغير ذلك من الاسباب التي لم تنتظم في ارضنا حتى الآن فلا تجري في ادوار محدودة

(١١) ماهية الرعد

ومنهُ . ما هو الرعد

ج حينما تثب الكهربائية من غيمة الى اخرى او من غيمة الى الارض ويحدث البرق تتولد حرارة شديدة تمدّد الهواء بسرعة فيحدث من تمددهِ الرعد

(١٢) ماهية السحاب

ومنهُ . ما هو السحاب وسبب سيرهِ

ج هو دقائق صغيرة جدًّا من الماء تصعد بخاراً بالحرارة كالبخار الذي يصعد من الماء الغالي وتتكاثف في الجو لشدَّة البرد فيهِ فتصير سحاباً وتسير من مكان الى آخر لان الرياح تسوقها

(١٢) ماهية المطر

ومنهُ . ما هو المطر وما سبب نزولهِ في جهات دون غيرها

ج هو دقائق البخار التي في السحاب يتصل بعضها ببعض فتكبر ويعجز الهواءِ عن حملها فتقع مطرًا ويحدث ذلك حيث يتفق وجود البخار الكثير في الجو ووجود هواءٍ بارد يكثفهُ . وربما دعت الحال ايضاً الى وجود كهربائية توصل بين دقائق البخار . وقد كتبنا فصولاً كثيرة في البرق والرعد والصاعقة والسحاب والمطر في المجلدات الماضية فعليكم بمراجعتها او بمراجعة كتاب الظواهر الجوية

باب الاخبار العلمية

الانباءُ من المريخ

قلنا في الجزء الماضي ان العالم نقولا تسلا الذي اهتمَّ بمخاطبة سكان المريخ قوي عليهِ سلطان الخيال في هذه الايام وان القول بان سكان المريخ اشاروا الينا فرض بعيد جدًّا لا مسوّغ لهُ . ثم جاءتنا جريدة السينتفك اميركان الصادرة من اميركا في ١٩ يناير الماضي فرأينا فيها ما ترجمتهُ “قال احد الثقات انهُ قرُب الوقت الذي نتخاطب بهِ مع سكان الكواكب ولا سيما سكّان المريخ” وتختلف قيمة هذا القول باختلاف عقول الذين يسمعونهُ والظاهر انهُ لما كان نقولا تسلا يمتحن التلغراف الاثيري في مكان مرتفع جدًّا عن سطح البحر (بولاية كولورادو) تمكَّن من توليد مجرى كهربائي “قوتهُ مثل قوة مئة الف حصان” وشرارة كهربائية “طولها مئة قدم” وحصر المجرى الكهربائي ولو كانت قوتهُ “خمسين مليون فولط” . ومع ان الكهربائية التي لديهِ كانت بالغة “خمسين مليونًا” في قوتها لم تصرفهُ عن الانتباه الى بعض الحركات الكهربائية الطفيفة التي لم يجد لها سببًا في الشمس ولا في شيءٍ يعرفهُ على كرة الارض وبعد ان فكَّر في هذا الامر طويلاً “اقتنع اقتناعاً يقرب من اليقين العلمي ان اصل هذه الحركات من الكواكب السيارة” . وحبذا لو علمنا طرق الاستدلال التي استدلَّ بها على ان هذه الحركات الغريبة التي لم يعرف لها سببًا تقنع اقتناعاً يقرب من اليقين العلمي على انها ارسلت الى ارضنا من الكواكب السيارة بل من المريخ اذ ودَّ سكانهُ ان يخاطبونا بها. وقد قال السنيور مركوني ان هذه الافعال

التي اثرت هذا التأثير الغريب في مخيلة المستر تسلا حاصلة من كهربائية الجو. وقال السر نورمن لُكيَر ان كانت الاشارات الكهربائية ارسلت الينا من المريخ فعلى مَ ينحصر ظهورها في ولاية كولورادو باميركا ولا تشعر بها كل المراصد المغنطيسية في الدنيا ”. انتهى

وقد اوردت جريدة السينتفك اميركان هذا الكلام بصورة التهكم على العالم نقولا تسلا ثم استطردت فقالت ” اما كون بعض السيارات مسكونًا فامر ممكن وليس في ما نعرفهُ الآن من نواميس الكهربائية ما يوجب القول بانهُ يستحيل علينا في مستقبل الايام ارسال الاشارات الكهربائية الى السيارات او الى غيرها من نجوم السماء . ولكن الاستدلال على ان ذلك صار امرًا واقعيًّا لا تكفي لهُ الافعال الطفيفة التي شوهدت على جبل في كولورادو ولم يعرف سببها “

وعادت السينتفك اميركان الى هذا الموضوع في عددها الذي صدر في ٢٦ يناير فقالت ان المسيو كاميل فلامريون الفلكي الفرنسوي لا يصدق ان سكان المريخ يحاولون الاشارة الى ارضنا . وعندهُ ان الانوار او النتوات التي ظهرت في بحر اكاريوم انما هي انعكاس نور الشمس وهي تغيب عن الغيوم فوق ذلك البحر

العلم والحكومة

اجتمع بالامس جماعة من علماء الاميركيين في مدينة بلتيمور باميركا وبحثوا في علاقة الحكومة بالعلماء فقال احدهم الاستاذ اسبورن ” ان الباحث في ميزانية الحكومة يرى انها تنفق اكثر اموالها على امور لا بدَّ لها منها لان بها قوامها كرواتب الموظفين ونفقات الحربية والبحرية . وهذه النفقات من قبيل الاموال الهالكة تُقضى بها حاجة وقتية فتثمر او لا تثمر حسب نوعها . وتنفق بعض اموالها على ما منهُ نفع كبير في المستقبل كالذي يغرس شجرة اليوم لكي يجني ثمارها بعد اعوام كثيرة وهي الاموال التي تنفقها على العلم والتعليم . قال الاستاذ هلمهلتز ‘ ان رجال العلم يشتغلون لاجل الامة كلها ليجمعوا من المعارف العلمية ما ترتقي بهِ الاعمال الصناعية وتزيد الثروة وتنعم الحياة وتصلح الروابط السياسية والاجتماعية وتسمو الآداب والفضائل . ونحن واثقون ان كل ما يزيد معارفنا بقوى الطبيعة او قوى العقل يستحق ان يُطلب لذاتهِ ولا بدَّ من ان تجنى منهُ الثمار الكثيرة وهي تجنى غالبًا من حيث لا تنتَظر ’

والدول التي تنفق على العلم والتعليم اكثر من غيرها هي المانيا وفرنسا واميركا وانكلترا فالمانيا تنفق اكثر من غيرها وانكلترا اقل من غيرها مع ان ما تنفقهُ على بناء بارجة واحدة من بوارجها يكفي لانشاء اربع مدارس من المدارس العلمية الصناعية وما ذلك الاَّ لقصر نظرها في العواقب “

وتكلَّم بقية العلماء على هذا النحو وذلك في بلاد اهلها اشد الناس سخاءً على انشاء المدارس وترقية العلوم والفنون . ونحن في هذا القطر وسائر الاقطار الشرقية يُطلَب منا ان نجاري الاوربيين والاميركيين في العلوم والفنون ولا سند لنا لا من الحكومة ولا من الامة

ساعة عجيبة

صنع احد الاميركيين ساعة عجيبة تدلُّ على الساعات والدقائق والايام والشهور والسنين واليوم من الاسبوع ومن السنة واوجه القمر وفصول السنة وتدق الساعات وتضرب لحناً موسيقياً كل ساعة من ست انغام وتحرك آلة بخارية صغيرة وآلة كهربائية موضوعتين فيها. وفيها تماثيل جنود يلحنون الحاناً كل ربع ساعة ومنشار ينشر الخشب ويرميهِ في بركة ماء فيها كثير من الضفادع والسلاحف والحلازين. وادوات هذه الساعة مكشوفة كلها للعيان وهي تدوَّر من خمسة اماكن مختلفة وبعض تروسها يدور ستمئة دورة في الدقيقة وبعضها يدور دورة واحدة كل عشرة آلاف سنة وفيها ما يدل علي السنة الكبيس فتزيد بهِ يوماً من نفسها. وارتفاعها كلها نحو تسع اقدام وعرضها نحو ثلاث اقدام

اكبر السفن الشراعية

يظهر ان غلاء الفحم الحجري دعا اصحاب السفن الى بناء السفن الشراعية الكبيرة وهم يبنون الآن سفينة محمولها ثمانية آلاف وخمس مئة طن اي انها ستكون اكبر من اكبر السفن البخارية الموجودة الآن بالفي طن . ومعلوم ان السفينة الشراعية لا تضطر ان تحمل فحماً لها فتحمل من الوسق اكثر مما تستطيع حملهُ السفن البخارية وتكون اجرة نقل البضائع بها قليلة جداً فاذا نُقل الفحم الحجري من اميركا الى هذا القطر بسفينة شراعية قلت نفقات نقلهِ كثيراً ورخص ثمنهُ

تلفون بوبن

استنبط الدكتور بوبن الاميركي اسلوباً جديداً تنقل بهِ الكهربائية على الاسلاك المعدنية ولا يضيع منها الاَّ قليل جداً بالنسبة الى ما كان يضيع منها قبلاً فانهُ يصل منها باسلوبهِ جزء من اربعين جزءًا واما بالاسلوب العادي فلا يصل الاَّ جزء من مئتين وخمسين الف جزء ولذلك صار مد التلفون بين كل البلدان ممكناً مهما كانت بعيدةً بعضها عن بعض. وقد ابتاعت منهُ شركة التلفون والتلغراف الاميركية امتياز هذا الاختراع بخمس مئة الف ريال اي بمئة الف جنيه مصري

تمثال ثمين

وجد تمثال يوناني من النحاس في ضواحي بمباي بايطاليا طولهُ نحو اربع اقدام يظن انهُ صُنع في القرن الخامس قبل المسيح وقد قُدِّر ثمنهُ بعشرين الف جنيه

تذكار تيخو براهي

تهتم جمعية العلوم الملكية في بلاد اسوج بدعوة علماء الفلك الى الاحتفال بمرور ثلاثمئة سنة على وفاة تيخو براهي ابي علم الفلك العملي وذلك في ٢٤ اكتوبر الاتي . فهل من جماعة في صدرهم نخوة عربية يهتمون باحياء ذكر البتّاني الذي يلقب ببطليموس العرب او غيرهِ من مشاهير العلماء الذين تحق لنا المباهاة بهم

اكبر آبار البترول

حُفرت بئر جديدة لزيت البترول بقرب بومنت احدى مدن تكساس باميركا يخرج منها كل يوم ما يملأُ خمسة وعشرين الف برميل من زيت البترول . واغزر الآبار الروسية لا يخرج منها اكثر مما يملأُ ثمانية عشر الف برميل . ويخرج الزيت من البئر الاميركية في شكل عمود قطرهُ ست عقد وعلوهُ مئتا قدم وقد رخص ثمن الزيت الاميركي بسبب هذه البئر

خرط اعمدة الصوّان

من يرى عمود السواري في الاسكندرية او المسلاّت المصرية في المطرية ولقصر يعجب بصبر المصريين القدماء الذين قطعوها ونحتوها وجلوها وصقلوها وقضوا في ذلك اياماً طويلة. ومَن يظن ان ابناء هذا العصر يقصرون عن شأو المتقدمين قائساً صنَّاع الاوربيين والاميركيين بصنَّاع المصريين يخطئ خطأً كبيراً فان صنَّاع الاوربيين والاميركيين الذين سخّروا الحديد والبخار والكهربائية يستطيع الرجل منهم ان يعمل في ساعة من الزمان ما لم يكن يستطيعهُ مئة عامل في اسبوع. وقد قرأنا الآن في السينتفك اميركان ان الاميركيين صنعوا مخرطة كبيرة يخرطون بها عمود الصوان (الغرانيت) الذي طولهُ ٥٤ قدماً وقطرهُ ٦ اقدام وثقلهُ ١٦٠ طناً ويكون ثقل القطعة التي يخرط منها هذا العمود ٣١٠ اطنان فترفعها المخرطة وتديرها وتخرطها خرطاً بعد ان تهذّب حروفها ثم تجلوها وتصقلها وتتم ذلك كلهُ في ستة اسابيع . وتدور هذه المخرطة بآلة بخارية قوتها خمسون حصاناً

ضمان حياة الملوك

طلب الملك اسكندر ملك السرب من بعض شركات سوكرته الحياة ان تضمن حياتهُ على مبلغ مليوني ريال فرفضت شركة منها ذلك لان حياة الملوك في خطر من الفوضويين وقد خسرت هذه الشركة بقتل ملك ايطاليا ستمئة الف ريال

محاجر كرارا

ابتاع رجل اميركي محاجر الرخام الابيض الجميل في كرارا بايطاليا وهو عازم ان يستعمل الاساليب الاميركية لقطع الرخام منها فتقل نفقاتهُ و يرخص ثمنهُ

الذهب في الطين

في نيوسَوْث وايلس باستراليا نهران يطميان كل سنة فيعاني الناس المشاق في تطهيرهما ونزع الطين منهما ونقلهِ الى البحر وطرحهِ فيهِ واتفق لاحد العمال ان صوَّل بعض هذا الطين فوجد فيهِ شيئًا من التبر فاخبر اولي الشأن بذلك فوجدوهُ مصيبًا ومن ثم جعلوا يصولون هذا الطين قبل نقلهِ الى البحر ويقال انهم يجدون فيهِ من الذهب ما يفي بنفقات التطهير كلها

الفحم والصناعة

اكثر الروسيون من انشاء المعامل الصناعية تمثلاً بغيرهم من الاوربيين والفحم الحجري قليل في بلادهم او لا يستخرج منهُ شيءٌ كثير فاشتدَّت حاجتهم الى الفحم حالاً واخذوا الآن يجلبونهُ من اميركا فتبلغ اجرة شحن الطن اليهم نحو ٨٥ غرشًا او اكثر. وهذا نصيب كل بلاد تحاول انشاء المعامل الصناعية وليس فيها حياة المعامل وهي الفحم الحجري

كنوز المغول

نريد بكنوز المغول كتبًا يونانية ورومانية نهبها المغول من الممالك الغربية لما غزوها وعادوا بها الى بلادهم وقد وجدتها الجنود الروسية الآن في مقدن فاوفدت الحكومة الروسية جماعة من علمائها للنظر فيها وينتظر ان توجد فيها كتب ثمينة جدًّا لم يستفد منها المغول شيئًا

منزل فيهِ ثلاثون طبقة

عزم احد الاميركيين ان يبني منزلاً في مدينة نيو يورك يكون فيهِ ثلاثون طبقة الواحدة فوق الاخرى فيكون اعلى منازل تلك المدينة والغرض من ذلك الاقتصاد في الارض

النور الكهربائي والبصر

من المسائل الهامة جدًّا مسأَلة النور الكهربائي وهل يضر بالعين و يضعف البصر. وقد مضى علينا الآن ثلاث سنوات ونحن نستعملهُ كل ليلة ولا نستعمل غيرهُ ولم نشعر باقل تعب في عيوننا ولا باضطراب في بصرنا ولا سمعنا احدًا يشكو منهُ. ثم اننا رأينا الآن ان لجنة مدرسة هيدلبرج الجامعة قرَّرت بعد البحث الدقيق ان النور الكهربائي ونور الغاز الذي يحمي شبكة اور لا يضران بالبصر واشارت باستعمال النور الكهربائي في كل المباني العمومية

تجارة القطر في العام الماضي

بلغت تجارة القطر المصري من صادر ووارد في العام الماضي بحسب تقدير الجمارك المصرية ثلاثين مليونًا و ٥٥٩ الف جنيه و ٧٤ جنيهًا عدا طرود البوسطة وقيمتها نحو ٣٢٠ الف جنيه فزادت قيمة الصادر عمَّا كانت عليهِ في العام الذي قبلهُ مليونًا و٤١٥ الفًا و ١٨٩ جنيهًا وقيمة الوارد مليونين و٥٨٤ الفًا و ٩٨٤ جنيهًا . وزيادة الوارد شاملة كل

شيءٍ تقريباً فالحيوانات وما يستخرج منها زادت قيمتها ٢٩٣ الف جنيه والحبوب والدقيق والاثمار المقددة زادت قيمتها ٥١١ الف جنيه والسكر والطيوب والبن زادت قيمتها ٨٣ الف جنيه والخمور والزيوت زادت قيمتها ١٨٩ الف جنيه والخشب والفحم والمصنوعات الخشبية زادت قيمتها ٣١٢ الف جنيه . والمنسوجات على انواعها زادت قيمتها اكثر من ٧٠٠ الف جنيه وزاد الحديد وحدهُ نحو ٣٠٠ الف جنيه والآلات الرافعة للماء ١٣٣ الف جنيه . وبعض هذه الزيادة من غلاء الاسعار وبعضها من زيادة المقطوعية

اما الصادرات فالزيادة الكبرى فيها في ثمن القطن فقد زاد وحدهُ مليوناً و ٤٤٠ الف جنيه وبزرة القطن فقد زادت ٣٢٢ الف جنيه وزادت قيمة الدبيغ ٥٩ الف جنيه والصمغ العربي ٦٣ الف جنيه ولكن نقصت قيمة الفول ٢١٥ الف جنيه . وقد نقصت قيمة اكثر الصادرات الاخرى ولولا الزيادة في ثمن القطن لكانت السنة الماضية من اكبر السنين خسائر على القطر المصري لان الفرق بين قيمة الصادر والوارد وهو مليونان ٧٥٦ الف جنيه لا يوازي ربا الدين الذي تدفعهُ الحكومة المصرية لاوربا اما سنة ١٨٩٩ فكان الفرق بين قيمة صادراتها وقيمة وارداتها اربعة ملايين ١٢٦ الف جنيه اي ما يفي بربا دينها واذا كانت سنتنا هذه مثل السنة الماضية استنزفت اوربا الثروة القليلة المجموعة في القطر المصري

الالمان في فلسطين

يهتم الالمانيون الآن بانشاء مدرسة لعلم العاديات في القدس الشريف وقد نالت جمعية فلسطين الالمانية الرخصة من الباب العالي لمسح البلاد التي شرقي الاردن ومنحتها الحكومة الالمانية ١٢٥٠ جنيهاً لهذا العمل وعسى ان يكون قصدها من ذلك علمياً محضاً

الرخام تحت الضغط

بحث الاستاذ فرنك ادمس الاميركي عن فعل الضغط الشديد بالرخام فصنع اساطين من الرخام صقلها جيداً ووضعها في انابيب من الحديد مثل انابيب المدافع حتى تملأها تماماً ثم ضغط عليها ضغطاً شديداً جداً يبلغ نحو مئة طن على كل عقدة مربعة وابقى الضغط عليها عدَّة اشهر متوالية فتمدَّدت جوانبها من شدَّة الضغط ونفخت الانابيب التي هي فيها ولما شُقت الانابيب وُجدت الاساطين متغيرة الشكل والقوام اي ان صلابتها صارت نصف ما كانت عليهِ . ثم ضغط غيرها هذا الضغط وهي محماة الى الدرجة ٤٠٠ بميزان سنتغراد فتغير شكلها ولكن بقيت صلابتها على حالها . وكذلك ضغطها وادخل فيها ماء العقدة منهُ مضغوطة ٤٦٠ رطلاً فتغير شكلها وبقيت على صلابتها الاولى

فاتضح من ذلك ان صخور باطن الارض المضغوطة وفيها ماءٌ او حرارة شديدة لا يقلل الضغط صلابتها ولو كانت متبلورة الدقائق كالرخام

اصلاح التبغ

لما منعت الحكومة المصرية زرع التبغ في القطر المصري كانت حجتها الكبرى ان التبغ المصري لا يصلح للاصدار الى الخارج لانهُ غير جيد واذا ابيحت زراعتهُ فغلة الفي فدان تكفي القطر المصري ولكن الناس لا يكتفون بزرع الفي فدان فيزرعون اكثر منها فاذا زرعوا اربعة آلاف فدان فلاهم يستطيعون ان يصدروا غلة الالفين الآخرين ولاهم يستطيعون ان يبيعوها في البلاد. ثم ان الحكومة تكتسب الآن مليون جنيه من جمرك التبغ فاذا فرضت هذا المال على الاطيان التي تزرع تبغاً لزمها ان تفرض على الفدان خمس مئة جنيه فاذا اصابت زراعتهُ آفة ما خرب بيت صاحبهِ

ويظهر لنا من بعض التجارب التي جُرّبت في وادي كُنَكْتِكُت باميركا انهُ يمكن اصلاح التبغ حتى يصير من اجود الانواع بقليل من العناية وذلك بان تظلّل الاراضي التي يزرع فيها بظلات من الخيش توضع على نحو عشر اقدام فوق الارض . فاذا كان ذلك يصلح التبغ المصري حقيقةً حتى يصير مثل اجود انواع التبغ التركي واباحت الحكومة المصرية زراعتهُ وجعلت مال الفدان مئتي جنيه فلا يبعد ان يزرع الناس عشرة آلاف فدان تستعمل غلة الفي فدان منها في القطر المصري ويصدر ما بقي الى اوربا فتربح البلاد ربحًا كبيرًا جدًّا ويتضاعف دخل الحكومة من التبغ

عناصر الهواء

ابنا غير مرة ان الدكتور رمسي والدكتور ترڤرس اكتشفا عنصرًا جديدًا في الهواء وهو الارغون ثم اكتشفا عنصرين آخرين سمياهما الكربتون والنيون واستدلاَّ على وجود عنصرين غيرهما سمياهما المتارغون والكسنون وقد جمعا الآن مقدارًا كافيًا من الكربتون والكسنون فوجدا انهما يشبهان الارغون والهاليوم ووزن الكربتون الجوهري ٨٢ ووزن الكسنون ١٢٨ واوزان هذه العناصر المكتشفة جديدًا هكذا الهاليوم ٤ . النيون ٢٠ الارغون ٤٠ الكربتون ٨٢ الكسنون ١٢٨ وخواصها الطبيعية توافق اوزانها الجوهرية

عود الى مخاطبة المريخ

جاءتنا مجلة العلم العام الاميركية بعد طبع ما تقدَّم في اول الاخبار في هذا الجزء فرأينا فيها كلاماً مسهباً عن دعوى المستر نقولا تسلا وقد تهكمت عليهِ وقالت انهُ شط عن مسالك العلماء كما وصفناهُ في الجزء الماضي من المقتطف. وهاك ترجمة بعض ما قالتهُ في هذا

الصدد " نشر المستر تسلا مقالة طويلة في جريدة السنتشري الصادرة في شهر يونيو سنة ١٩٠٠ ضمنها بعض الامور الكهربائية وقضايا فلسفية واجتماعية خلط فيها خلطاً و بناها على آراء سداها الجهل ولحمتها الخطأُ والدعوى . ونُشرت مقالة في جريدة الشمس (الاميركية) في ٣ يناير توصف فيها اشغال المستر تسلا في كولورادو ويقال فيها انهُ يرمي الى ثلاثة اغراض الاول نقل القوة من غير اسلاك معدنية والثاني اصلاح طريقة ارسال التلغرافات تحت البحر . وهذان الغرضان تجاريان ونتمنى لهُ النجاح فيهما ومتى نجح نسمع عن نجاحهِ من ديوان الامتيازات واذا اوصلت تجاربهُ فيهما الى ما تزيد بهِ معارف الناس استحق شكرنا الجزيل ولا يبخل عليهِ احد بهِ . واما الغرض الثالث فيقول انهُ يتضمن التسلط على القوى الكهربائية ومتى تمَّ بحثهُ فيهِ يعلنهُ للجمهور اما الآن فقد انتبه الى بعض الحركات الكهربائية الطفيفة التي لم يجد لها سبباً في الشمس ولا في شيءٍ يعرفهُ على كرة الارض فحسب انها اشارات الينا من سكان المريخ او غيرهِ من الكواكب السيَّارة البالغة عشرين او خمسة وعشرين عدًّا . والظاهر ان المستر تسلا يريد ان يشتهر اسمهُ في الجرائد اليومية . وكل احد يسرُّ اذا ثبت ان سكان المريخ يشيرون الينا ولكن المستر تسلا لم يقم شبه دليل على صحة دعواهُ وهي ليست من العلم في شيءٍ . وتجاربهُ الكهربائية غرضها تجاري فتقاس بنتائجها التجارية . واما آراؤهُ فطائشة لا يعتدُّ بها وفلسفتهُ مشحونة بالجهل فلا قيمة لها " انتهى

هذا ما ذكرتهُ مجلَّة تعدُّ الاولى بين المجلاَّت العلمية الاميركية . وقد ذكرنا في صدر الاخبار العلمية ما قالتهُ جريدة السينتفك اميركان وقول هاتين الجريدتين حجة قاطعة على فساد كل ما زعمهُ تسلا وغيرهُ من المصدقين قولهُ

الاحتفال بعيد الجلوس

احتفل سكان القطر المصري عموماً وسكان العاصمة خصوصاً بعيد جلوس الجناب العالي على سدَّة الخديوية المصرية ليلة الثامن من شهر يناير وتألفت لذلك لجنة في العاصمة رأسها عطوفتلو عبد القادر باشا حلمي وانضمَّ اليها كثيرون من وجوه العاصمة وسائر مدن القطر وجعلت شرط الاشتراك فيها ان يدفع الطالب اكثر من عشرة جنيهات واعتبرت اصحاب الجرائد المصرية من اعضائها الاكراميين ورؤساء الجمعيات الخيرية من اعضائها العاملين . واقامت معالم الزينة في حديقة الازبكية وسار موكب من تلامذة المدارس بالانوار مع موسيقى الجيش المصري وموسيقى سجن الاحداث من شارع وجه البركة ومرَّ امام نزل شبرد ونزل الكنتيننتال ودار في ساحة الاوبرا

ثم سار الموكب في شارع عابدين الى ان وصل الى سراي عابدين فوقف هناك امام باب التشريفات الكبرى وصدحت الموسيقى حينئذٍ بالسلام الخديوي ورتل التلامذة نشيدهم المخصوص ثم دار الموكب على نفسهِ وعاد في شارع عابدين حتى قرب من حديقة الازبكية فانقسم قسمين دخلاها من الباب الغربي والجنوبي حتى اذا التقيا عند قنطرة البحيرة طافا حولها وابتدأت الالعاب النارية

وكانت اللجنة قد زينت الحديقة زينة باهرة وضربت فيها السرادقات الفخيمة اعلاها سرادق الجناب الخديوي ويتلوهُ سرادق البرنسات والنظار وقناصل الدول الجنرالية ثم سرادق الوجوه والاعيان ونظمت فيها الانوار الكثيرة ولاسيما الانوار الكهربائية الساطعة ونصبت عن يمين البحيرة ثلاث قناطر شبيهة بقناطر السدود في الصعيد يتدفق منها الماء وقد البستها الانوار حللاً بهية

وحضر الجناب الخديوي التمثيل في الاوبرا الخديوية وهو من جملة مظاهر الاحتفال وحضر دولة اخيهِ البرنس محمد علي مجالي الزينة في حديقة الازبكية. وقد غصّت الحديقة بكبار القطر المصري والنزلاء فيهِ وفي مقدمتهم مختار باشا الغازي وبطرس باشا غالي ومظلوم باشا وعباني باشا والمستر غورست والمستر متشل وكان رئيس اللجنة واعضاؤُها يقابلون الجماهير بالانس والاكرام

البعوض والملاريا

ذكرنا في الصفحة ٤٦٨ من المجلد الخامس والعشرين ان الدكتور لو والدكتور سامبون مضيا الى آجام رومية في شهر يونيو الماضي وسكنا في البيت الذي اشار الدكتور مانسون ان يبنى فيها وتوضع الناموسيات حول اسرَّتهِ فتمنع دخول البعوض الى من ينام فيها وانهما كانا لا يزالان سليمين حتى ذلك الحين. وقد قرأنا الآن انهما عادا الى مدينة لندن سليمين بعد ان قضيا الصيف والخريف هناك مع ان الحمى الملارية اشتدَّت اشتداداً غير عادي هذه السنة حتى انهُ مرض بها خمسة عشر من ستة عشر رجلاً من رجال الشرطة مضوا الى هناك واقاموا ليلة واحدة

قتلى الضواري وقتلى الافاعي

قتلت الضواري ٢٩٦٦ نفساً في بلاد الهند سنة ١٨٩٩ و٨٩٩ من هؤُلاء قتلتهم الفهود و٣٣٨ قتلتهم الذئاب و٣٢٧ قتلتهم النمور والباقون قتلتهم الادباب والافيال والضباع والتماسيح وما اشبه. اما الافاعي فقتلت وحدها ٢٤٦٢١ نفساً اكثرهم من سكان بنغالا لان السيل فيها يطرد الافاعي من المنخفضات الى الاراضي العالية التي فيها مساكن الناس. غير ان الضواري افترست تلك السنة ٩٨٢٣٨ من البقر. والافاعي قتلت ٩٤٤٩ رأساً فقط. فالضواري افتك

بالمواشي منها بالناس. والافاعي افتك بالناس منها بالمواشي

مضار النمل الابيض

اخبرنا القادمون من اعالي السودان ان النمل الابيض هناك لا يبقي على شيءٍ حتى انهُ ليأكل الثياب والاحذية وقد ضاقت الحكومة المصرية بهِ ذرعاً لانهُ ينخر اعمدة التلغراف ويأكلها حتى اضطرَّت اخيراً ان تنصب اعمدة من الحديد او تطلي اعمدة الخشب بدهان يبعد النمل عنها. والظاهر ان ضربة النمل الابيض منتشرة في كل افريقية من اصوان الى الترنسفال وقد قرأنا شهادات كثيرة على فائدة الدهان المشار اليهِ آنفاً وانهُ يقي الخشب من النمل الابيض ومن الرطوبة ايضاً ويمنع دخل الرطوبة في المباني كلها سواءٌ كانت من القرميد او من الحجر وعليهِ فقد انحلَّت مسأَلة من اغوص المسائل وهي حفظ الخشب في البلدان التي يكثر فيها هذا النمل

السر جون افانس

انسنا بلقاء العلاَّمة المفضال السرجون ڤانس رئيس جمعية علم النقود وسكرتير جمعية لندن الجيولوجية وهو من مشاهير علماء الانكليز رأس مجمع ترقية العلوم البريطاني لما التأم في كندا سنة ١٨٩٨ والجمعية الجيولوجية وبقي اميناً لصندوق الجمعية الملكية الانكليزية عشرين سنة من ١٨٧٨ الى ١٨٩٨ ولهُ من المؤلفات كتاب في النقود البريطانية القديمة وكتاب في ادوات الظران القديمة وكتاب في ادوات البرنز القديمة وهو على كبر سنهِ (فانهُ في الثامنة والسبعين من عمرهِ) انيس الوجه كبير الهمة كانهُ شاب في مقتبل العمر. قدم العاصمة مع زوجتهِ لادي اڤانس وذهب الى اصوان ثم سافر قاصداً اثينا فكريت حيث ابنهُ يبحث في آثار تلك الجزيرة

مسز لوس ومسز جبسن

وانسنا ايضاً بلقاء العالمتين الفاضلتين مسز لوس ومسز جبسن قدمتا القطر المصري لدرس اللغة القبطية والبحث عن آثار الاقباط وكتبهم القديمة وهي همة علية لهما تذكر لتشكر

هبات اميركية

جاء في جريدة العلم الاميركية ان الدكتور بيرسنس اعطى مدرسة كلورادو الكلية خمسين الف ريال ومدرسة فورث وسترن ثلاثين الف ريال ووهب مدرسة اخرى مئتي الف ريال وتبلغ هباتهُ كلها للمدارس ثلاثة ملايين من الريالات اي ستمئة الف جنيه

مؤتمر السل

يعقد مؤتمر للبحث في مرض السل في مدينة لندن من ٢٢ يوليو المقبل الى ٢٦ منهُ وهو ثلاثة اقسام الاول اداري ورئيسهُ السر هربرت مكسول والثاني طبي ورئيسهُ السر

دغلس بول والثالث باثولوجي وبكتيريولوجي ورئيسهُ الاستاذ سمس وودهد والرابع بيطري (عن سل الحيوانات) ورئيسهُ السر جورج برون . وقد دعيت الحكومات كلها في اوربا واسيا واميركا لارسال النوَّاب اليهِ . والغرض منهُ البحث عن الوسائل التي يمكن استعمالها لدفع هذا الداء الفتَّاك

الاستاذ بوتان

توفي الاستاذ بوتان الطبيب الفرنسوي الشهير صاحب المباحث الدقيقة في امراض القلب والخطب المفيدة في الطب الكلينيكي . وهو من اكبر الثقات في علم الفسيولوجيا كما انهُ من اكبر الثقات في علم الطب وقد استنبط آلة لقياس الضغط الشرياني (سفيغمومتر) من ادق ما صُنع من نوعها ولهُ البحث المستفاض في استقصاء الامراض بواسطة ضرب القلب وكان عضوًا في اكادمية باريس الطبية وفي اكادمية العلوم وتوفي في الخامسة والسبعين من عمرهِ

ناووس بديع

كل من شاهد الناووس البديع الذي أُخرج من مدينة صيداء وارسل الى الاستانة شهد انهُ ابدع ما صنعهُ الصناع قديمًا وحديثًا. والظاهر انهُ قسم للمتحف السلطاني في الاستانة ان تكون فيهِ ابدع مصنوعات الناس فقد قرأنا الآن انهُ وجد ناووس آخر مثلهُ قرب مدينة قونية في اسيا الصغرى وهو من الرخام وعليهِ نقوش كثيرة تمثل ازهارًا وحيوانات وصور اناس وثقلهُ نحو ثلاثين طنًّا اي نحو ٣٢ الف اقة وسينقل الى الاستانة ويوضع في دار التحف

شهيد العلم

مضى الدكتور درهم والدكتور ميرس في شهر يونيو الماضي الى الاماكن التي تكثر فيها الحمَّى الصفراء في برازيل للبحث عنها وعن علاج لها فاصيبا بهذه الحمى ومات الثاني منهما بها في العشرين من شهر يناير الماضي

مدرسة شيكاغو

وهب المستر ركفلر مدرسة شيكاغو الجامعة مليونًا ونصف مليون من الريالات اي ثلثمئة الف جنيه فوق هباتهِ الكثيرة لها البالغة نحو مليونين من الجنيهات ووهبها ليون مندل ٢٥ الف ريال فوق هباتهِ السابقة لها

نجوم الثريَّا

ترى العين في الثريَّا ستة نجوم او سبعة ولكن العين الفلكية رأَت فيها بآلة الفوتوغراف في مرصد هارڤرد ٣٩٧٢ نجمًا

عدد النيازك

ظهر بالحساب ان الرجم التي تسقط على الارض يوميًّا وهي كبيرة حتى ترى كأَنها نجوم ساقطة من السماء او نيازك يبلغ عددها عشرين مليونًا

فهرس الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين

٧٩ وفاة الملكة فكتوريا (مصوَّرة)
١٠٣ الملك ادورد السابع (مصوَّرة)
١٠٥ تاريخ آل معن
لجورجي افندي يني
١١٧ حياة هكسلي واشغاله
من خطبة للورد افبري (السرجون لبوك) تلاها في مجمع علم الانسان ببلاد الانكليز
١٢٣ الذباب والحكومة
١٢٦ السير تحت الماء (مصوَّرة)
١٣٢ التربية والحجاب
من كتاب " المرأة الجديدة " لقاسم بك امين القاضي بمحكمة الاستئناف المصرية
١٤١ شهادة من الهند
١٤٥ رواية امينة

---

١٥٤ باب تدبير المنزل ✡ الاعتناء بالاطفال · احرار البقول والحصى · زينة البيت · حال المرأة في هذا القرن
١٦٠ باب الزراعة ✡ البرسيم الحجازي · المعرض الزراعي · التجارب في زراعة القطن
١٦٨ باب الرياضيات ✡ السيارات وحركاتها في شهر فبراير ١٩٠١
١٧٠ باب التقريظ والانتقاد ✡ خاتمة رسائل اخوان الصفا · المرأة الجديدة · سمير العائلات · رواية وردة · تاريخ الانشقاق
١٧٥ باب الصناعة ✡ زبيب كليفورنيا · قصر القطن · اظهار الكتابة الممحاة
١٧٨ باب المسائل ✡ سكان المريخ · رفع حجارة الاهرام · قرطاجنة · من سمى تونس · اكرام يوم الخميس · راحة المعادن · شهب نوفمبر · المزاج الصفراوي والسل · تحريم الخمر · سبب البرق · ماهية الرعد · ماهية السحاب · ماهية المطر
١٨١ باب الاخبار العلمية ✡ وفيه ٢٢ نبذة